

# الإيمان باليوم الآخر

هَدَايَاتُ إِيمَانِيَّةٍ وَمَحْكَمَاتُ رَبَّانِيَّةٍ



جمع الفقير إلى عفو ربه:

مُحَمَّدُ بْنُ سِنْدِ الزَّهْرَانِيِّ



الإيمانُ باليومِ الآخرِ  
هداياُ إيمانيةٌ ومحكماتُ ربّانيةٌ



# صفحة ردمك



# الإيمانُ باليومِ الآخرِ هُدَايَاتُ إِيْمَانِيَّةٍ وَمَحْكَمَاتُ رَبَّانِيَّةٍ

جمع الفقير إلى عفوره:

مُحَمَّدُ بْنُ سِنْدِ الرَّفْعِيِّ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





# إِهْدَاءٌ

للمصلين

الخاصين في محراب العبودية لرب العالمين

هدى للناس وبيانات من الهدى والفرقان ❁

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله وليّ المؤمنين، وناصر المتقين، ومجري الأقدار بحكمته، ومُنعم النعم بعدله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الإيمان باليوم الآخر يُعدّ من أعظم أصول الإيمان، وأرسخها أثرًا في بناء التصور العقدي، وتوجيه السلوك العملي؛ إذ به يرتبط القلب بالآخرة، وتتنظم حركة الإنسان في الدنيا على أساس المال والمصير، فيتحقق الاتزان بين العمل والجزاء، والرجاء والخوف.

ويهدف هذا الكتاب إلى تناول هذا الأصل الإيماني من خلال الجمع بين التأمل والتحليل، مع إبراز ما اشتملت عليه النصوص الشرعية من الهدايات المحكمة، والمعاني الربانية الثابتة، التي تسهم في تقويم التصور، وترسيخ اليقين، وبناء السلوك القائم على الاستعداد للقاء الله تعالى.

وقد توزعت فصول الكتاب على بيان مراحل اليوم الآخر، بدءًا من لحظة الاحتضار وسكرات الموت، مرورًا بعالم البرزخ، والبعث، ومصير الأرواح، ثم ما يتصل بذلك من التذكير بزيارة القبور، وما تحمله من معاني إيمانية ومقاصد تربوية، مع الالتزام بالمنهج الشرعي في العرض، والاقتصار على ما دلت عليه النصوص الصحيحة، وفهم السلف الصالح.

كما حُرص في هذا العمل على الربط بين النصوص الشرعية والمعاني الإيمانية، مع توظيف التأمّلات التربوية التي تسهم في إيقاظ القلب، وتحفيز الوعي، وصياغة المفاهيم بأسلوب علمي ميسر، يراعي ضبط المصطلح، وسلامة الاستدلال، واتساق البناء.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه وقارئه، وموقفًا للقلوب الغافلة، ومُعِينًا على الاستعداد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## أَهْمِيَّةُ الْإِيْمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَثْرُهُ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْإِيْمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَحَدَ أَرْكَانِ الدِّينِ، وَرَبَطَهُ بِالْإِيْمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَجَعَلَ اسْتِحْضَارَهُ زَادًا لِلْقُلُوبِ، وَحَارِسًا لِلنُّفُوسِ، وَضَابِطًا لِلْأَعْمَالِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الْإِيْمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَيْسَ مَسْأَلَةً فِكْرِيَّةً نَظْرِيَّةً، وَلَا قَضِيَّةً هَامِشِيَّةً يُمَكِّنُ تَجَاوُزَهَا، بَلْ هُوَ رُكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيْمَانِ، بِهِ تَسْتَقِيمُ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ، وَبِهِ تَنْضَبُطُ مَسِيرَتُهُ، وَهُوَ الَّذِي يَرْبِطُ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَيَجْعَلُ لِلْحَيَاةِ غَايَةً وَمَعْنَى. وَمَنْ تَأَمَّلَ كِتَابَ اللَّهِ وَجَدَ كَثْرَةَ الْآيَاتِ الَّتِي قَرَنَ اللَّهُ فِيهَا الْإِيْمَانَ بِهِ بِالْإِيْمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، لِيَكُونَ حَاضِرًا فِي وَعْيِ الْمُؤْمِنِ، يَدْفَعُهُ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْإِغْرَاقِ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حِينَ سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنْهُ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ  
بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»  
(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يَكْتَمِلُ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهِ، لِأَنَّهُ يَضَعُ كُلَّ عَمَلٍ  
فِي مَوْضِعِهِ، وَيَمْنَحُ الْإِنْسَانَ دَافِعًا لِلاِجْتِهَادِ فِي الطَّاعَةِ، وَرَادِعًا عَنِ التَّمَادِي فِي  
الْمَعْصِيَةِ. إِنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةً عَبَثِيَّةً، بَلْ  
يَحْيَا وَهُوَ يُرَاقِبُ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَعَلَنِهِ.

وَقَدْ فَهَمَ السَّلَفُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بَعْمَقٍ، يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:

“يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ.” فَالْمُؤْمِنُ  
حِينَ يَسْتَشْعِرُ قِصَرَ عُمُرِهِ، وَيُوقِنُ أَنَّ أَمَامَهُ وَقُوفًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا  
وَيَتَهَيَّأُ لِلِقَاءِ الْآخِرَةِ.



## يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية:

“إِنَّ الْإِيْمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ الْإِيْمَانَ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَالْبَعْثِ، وَالْحَشْرِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.”

فعلى هذا فمن لم يؤمن بالمعاد لم يحسن عملاً، ولم يترك معصية، إذ لا باعث له ولا رادع. ”ولهذا كان الإيمان باليوم الآخر هو سر الاستقامة ومفتاح الصلاح.

“وَأَعْجَبًا لِمُؤْمِنٍ بِالْجَنَّةِ كَيْفَ يَنَامُ عَلَى غَيْرِ زَادٍ، وَلِمُؤْمِنٍ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ وَهُوَ مُعْرَضٌ لِلْعَذَابِ!” ”فهي كلمات توقيظ الغافل وتردع اللاهي، وتبعث في القلب حياة جديدة. ابن الجوزي

وقد أشار المفسرون إلى أن معنى قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} أن - المُلْكُ الْحَقِيقِيَّ يَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ لَا دَعْوَى لِمُلْكٍ سِوَاهُ، وَيَقَعُ الْجَزَاءُ الْعَادِلُ التَّامُّ. وَأَكَّدُوا أَنَّ تَذَكُّرَ الْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ أَعْظَمُ بَاعِثٍ عَلَى الْاسْتِقَامَةِ وَأَشَدُّ زَاجِرٍ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

إِنَّ أَثَرَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي النَّفْسِ ظَاهِرٌ بَيْنٌ؛ فَهُوَ يُحْيِي الْمُرَاقَبَةَ  
الدَّاخِلِيَّةَ، فَيَسْتَحْضِرُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ كُلَّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مَكْتُوبَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:  
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

وَيُورِثُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا، إِذْ يُدْرِكُ الْعَبْدُ أَنَّهَا مَعْبَرٌ لَا مَقَرَّ، وَأَنَّ الْبَقَاءَ  
الْحَقِيقِيَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. وَيَجْعَلُ صَاحِبُهُ صَابِرًا عَلَى الْبَلَاءِ، مُحْتَسِبًا لِلْأَجْرِ  
عِنْدَ اللَّهِ، عَالِمًا أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى. كَمَا يُحَقِّقُ الْعَدْلَ الْاجْتِمَاعِيَّ، فَيَحْذَرُ  
الْمَرْءُ مِنَ ظُلْمِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُقْتَصُّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَلَيْسَ هَذَا أَثْرًا فَرْدِيًّا فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ نِظَامُ حَيَاةٍ شَامِلٌ. فَإِذَا غَابَ الْإِيمَانُ  
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ وَاقِعِ النَّاسِ عَاشَتِ الْمُجْتَمَعَاتُ وَفَقَ مَنْطِقُ الْمَصَالِحِ الْمَادِيَّةِ  
وَحَدَّهَا، وَانْحَدَرَتِ الْأَخْلَاقُ إِلَى حَيْثُ تَسْوَدُ الْأَنْبَانِيَّةُ وَالْفَوْضَى. أَمَّا إِذَا حَضَرَ  
الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي الْقُلُوبِ، نَشَأَ الْمُجْتَمَعُ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ وَالْعَدْلِ  
وَالرَّحْمَةِ.

فَالْمَوْظَفُ الَّذِي يَسْتَحْضِرُ ذَلِكَ لَنْ يَظْلِمَ وَلَوْ غَابَ الرَّقِيبُ، وَالتَّاجِرُ لَنْ  
يُعْشَ وَلَوْ فَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ، وَالْحَاكِمُ لَنْ يَسْتَبِدَّ وَلَوْ قَدَرَ. إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ  
سِيَّاحٌ يَحْمِي الْأَفْرَادَ وَالْمُجْتَمَعَاتِ مَعًا مِنَ الْانْحِرَافِ.

**فَلنَسْأَلْ أَنْفُسَنَا بِبِصْدِقٍ: هَلْ نَحْنُ مِمَّنْ يَسْتَحْضِرُونَ الْيَوْمَ الْآخِرَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ؟ هَلْ نَعْمَلُ عَمَلٌ مَّنْ يُوقِنُ بِلِقَاءِ اللَّهِ؟ أَمْ أَنَّنَا نَغْفُلُ وَنَعِيشُ كَأَنَّنَا مُخَلَّدُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ إِنَّ الْإِيْمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَيْسَ فِكْرَةً عَقْلِيَّةً جَامِدَةً، بَلْ هُوَ رُوحٌ تَنْبُضُ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ، تَجْعَلُهُ بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ، بَيْنَ عَمَلٍ وَاسْتِعْدَادٍ، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.**

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا قُلُوبًا مُؤْمِنَةً بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، عَامِلَةً لَهُ، مُشْتَاقَةً إِلَيْ لِقَائِكَ، وَوَفِّقْنَا لِلاِسْتِعْدَادِ لَهُ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## الإحتضارُ وسَكَراتُ المَوتِ

الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَ عِبَادَهُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،  
وَجَعَلَ المَوْتَ مَوْعِظَةً دَائِمَةً وَحَدًّا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَحَمَدُهُ سُبْحَانَهُ  
وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المَوْتَ حَقٌّ لَا مَرِيَةَ فِيهِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، كَمَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ  
عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ  
الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» (رَوَاهُ  
التِّرْمِذِيُّ).

لَقَدْ وَصَفَ القُرْآنُ الكَرِيمُ لِحِظَةَ مُفَارَقَةِ الرُّوحِ بِأَنَّهَا سَكْرَةٌ تُذْهِبُ  
بِالقُوَى وَتُعَدِّبُ النَفْسَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا  
كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]. فَاَلْمَوْتُ لَيْسَ فَنَاءً بَلْ هُوَ نَقْلَةٌ إِلَى دَارٍ أُخْرَى،  
وَسَكَرَاتُهُ حَقٌّ ثَابِتٌ، لَا يَدْفَعُهُ أَحَدٌ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ طِبٌّ وَلَا قُوَّةٌ.

وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ سَيِّدَ الْوَرَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَانَى مَشَقَّةَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَكَانَ يَمَسُّحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

وَهَذَا أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ السَّكَرَاتِ حَقٌّ يَمُرُّ بِهَا جَمِيعُ الْبَشَرِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُخَفِّفُهَا عَنْ مَنْ شَاءَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَيَشَدِّدُهَا عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ أَعْدَائِهِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وَقَدْ وَصَفَ حَالِ الْكَافِرِينَ فَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]. فَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَشْهَدَيْنِ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَبَيْنَ إِيمَانٍ وَكُفْرٍ.

وَقَدْ بَيَّنَّ الْعُلَمَاءُ أَنَّ شِدَّةَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْدُّنْيَا وَبُعْدِهِ عَنِ اللَّهِ.

## قال ابن القيم:

“إِنَّ خُرُوجَ الرُّوحِ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ تَعَلُّقِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِالْمَعَاصِي وَالْمَلَذَاتِ صَعِبَ فِرَاقُهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً بِذِكْرِ اللَّهِ هَانَ عَلَيْهَا الْإِنْتِقَالُ.”

فِيَا مَنْ يَطْمَعُ فِي طُولِ الْحَيَاةِ! أَمَا رَأَيْتَ الْمُحْتَضِرِينَ كَيْفَ تَضَطَّرِبُ أَنْفَاسُهُمْ وَتَتَقَلَّبُ أَعْيُنُهُمْ؟! فَاعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى، وَلَا تَغْتَرَّ بِصِحَّتِكَ فَإِنَّهَا إِلَى زَوَالٍ. ” وَقَدْ قَرَّرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ أَنَّ أَشَدَّ مَا يَلْقَى الْعَبْدُ ثَلَاثَةٌ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْمَوْتِ، وَعِنْدَ الْبَعْثِ، وَعِنْدَ الْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَأَوَّلُهَا أَصْعَبُهَا.

وَمِنْ تَأَمَّلَ فِي الْحِكْمَةِ وَجَدَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ كَالْفَاصِلِ الْحَاسِمِ بَيْنَ الدَّارَيْنِ، وَبَيْنَ الْأَمَلِ وَالْأَجْلِ، لِيَكُونَ الْعَبْدُ فِي آخِرِ أَنْفَاسِهِ بَيْنَ دَاعِيَيْنِ: دَاعٍ إِلَى التَّسْلِيمِ وَحُسْنِ الظَّنِّ، وَدَاعٍ إِلَى النَّدَمِ عَلَى مَا فَرَّطَ. وَقَدْ أَوْصَى النَّبِيُّ ﷺ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ فَقَالَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).



والتَّاصِيلُ الْعِلْمِيَّ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَظْهَرُ فِي أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ثَابِتٌ  
بِالنُّصُوصِ الْقَطْعِيَّةِ، وَأَنَّ سَكَرَاتِهِ مَذْكُورَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ  
أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ النَّاسَ فِي الْمَوْتِ مُتَّفَاوِتُونَ، فَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ تُبَشِّرُهُمُ  
الْمَلَائِكَةُ، وَمِنَ الْكَافِرِينَ مَنْ يُعَانُونَ مَشْهَدَ الضَّرْبِ وَالْعَذَابِ.

وَهَذَا يُثَبِّتُ أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ عَدَمًا، بَلْ بَدَايَةُ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي أَحْبَبَ اللَّهُ  
عَنْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:  
٦٤].

فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَسْتَعِدُّ لِهَذِهِ السَّاعَةِ بِصِدْقِ التَّوْبَةِ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ،  
وَالتَّرَوُّدِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُرَبِّي نَفْسَهُ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يُبْعَثُ  
عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ. وَكَمَ مِنْ نَاسٍ أَخَذَهُمُ الْمَوْتُ بَغْتَةً فَلَمْ يُمَهَّلُوا، وَكَمَ مِنْ قُوَّةٍ  
وَمَالٍ وَجَاهٍ خَانَتْ صَاحِبَهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ.

اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَاجْعَلْ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ، وَاخْتَمِ  
لَنَا بِالسَّعَادَةِ، وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ  
الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي  
جَنَّتِي﴾. [الفجر: ٢٧-٣٠].

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَوْتَ بَابًا لِلدُّخُولِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، وَقَسَمَ الْعِبَادَ  
بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى سَعْدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ، فَمِنْ بَيْنِهِمْ أَهْلُ جَنَّةٍ فِي نَعِيمٍ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَهْلُ  
نَارٍ فِي جَحِيمٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا  
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِنَّ الْقَبْرَ مَوْضِعُ الْإِنْتِقَالِ الْأَوَّلِ بَعْدَ الْمَوَارَاةِ فِي الثَّرَى، وَهُوَ الْبَابُ الَّذِي  
يَدْخُلُ مِنْهُ الْعَبْدُ إِلَى مَرَحَلَةٍ جَدِيدَةٍ تُسَمَّى الْبَرْزَخَ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَ  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وَالْمُؤْمِنُ يَسْتَقِرُّ فِي قَبْرِهِ عَلَى نُورٍ وَسُرُورٍ، وَالْمُعَانِدُ يَسْتَقِرُّ عَلَى ظُلْمَةٍ  
وَعَذَابٍ. وَهَذَا مَا ثُبَّتْ بِالنُّصُوصِ الْقَطْعِيَّةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ  
أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ، فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرْقَعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَجْلَسَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْكَافِرُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). فَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي إِثْبَاتِ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَعَذَابِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَيْضًا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بَعْدَ التَّسْهِدِ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». وَفِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ قَطْعِيٌّ عَلَى ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، حَتَّى جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ دُعَاءً لَازِمًا فِي كُلِّ صَلَاةٍ.

وعلى هذا

“فالإيمان بعذابِ القبرِ ونعيمِهِ وَفِتْنَتِهِ حَقٌّ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ”.

“فَمَا أَكْثَرَ مَنْ عَرَّهُ الشَّبَابُ وَالْعَافِيَةُ، فَنَقَلَهُمُ الْمَوْتَ إِلَى مَضَاجِعِ التُّرَابِ، فَلَوْ رَأَيْتَهُمُ وَالْقُبُورُ تُحَاوِشُهُمْ وَالْفِتْنُ تُحَاصِرُهُمْ، لَعَلِمْتَ أَنَّ الْعَقْلَ فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ الْوَقْتِ”.

وَقَدْ أَشَارَ الْمُفَسِّرُونَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] دَلِيلٌ عَلَى عَذَابِ الْبَرزَخِ، فَالنَّارُ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَزَادُ عَذَابُهُمْ بَعْدَ الْقِيَامَةِ.

وَفِي الْمُقَابِلِ، ثَبَّتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). فَهَذَا نَعِيمٌ مُبَكَّرٌ فِي الْبَرزَخِ يَسْبِقُ دُخُولَ الْجَنَّةِ الْكُبْرَى.

وَالْحِكْمَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ أَنَّهُ تَمْهِيدٌ لِمَصِيرِ الْعَبْدِ، وَإِعْلَانٌ مُبَكَّرٌ لِمَا سَيَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْمُؤْمِنُ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا

وَطَيْبِهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، وَالْمُعَانِدُ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ. وَفِي ذَلِكَ تَرْبِيَةٌ لِلْقَلْبِ عَلَى دَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ، فَمَا الْقَبْرُ إِلَّا مَعْرِضٌ لِلْعَدْلِ وَالْبِدَايَةُ لِحُكْمِ اللَّهِ الْعَادِلِ الَّذِي لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا.

فَالْعَاقِلُ إِذَا سَمِعَ بِالْقَبْرِ وَبِأَحْوَالِ الْبَرَزَخِ، وَرَأَى مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ، وَقَفَ مَعَ نَفْسِهِ وَقَالَ: أَيُّ مَصِيرٍ أَعَدُّ لِنَفْسِي؟ وَهَلْ يَكْفِينِي مَا عِنْدِي مِنْ عَمَلٍ وَزَادٍ؟ فَمَنْ أَيْقَنَ أَنَّ مَوْضِعَهُ بَعْدَ الدَّفْنِ إِمَّا رَوْضَةٌ أَوْ حُفْرَةٌ، وَأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ، كَانَ حَرِيًّا أَنْ يُجَدِّدَ تَوْبَتَهُ وَيُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيُعِدَّ لِتِلْكَ السَّاعَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُبُورَنَا رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَلَا تَجْعَلْهَا حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّيِّرَانِ، اللَّهُمَّ نَوِّرْ لَنَا قُبُورَنَا، وَاْفْسِحْ لَنَا فِيهَا مَدَّ الْبَصَرِ، وَارْزُقْنَا فِيهَا الْأُنْسَ وَالْأَمْنَ وَالسَّكِينَةَ، وَاجْمَعْ لَنَا بَيْنَ الرِّضْوَانِ وَالْغُفْرَانِ وَالْجِنَانِ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## مَصِيرُ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِعِ الْخَلْقِ وَمُحْيِي الْأَمْوَاتِ وَبَاعِثِ مَنْ فِي الْقُبُورِ، أَظْهَرَ الْحَقَّ وَنَصَبَ الْأَدِلَّةَ، وَأَوْضَحَ السُّبُلَ، وَفَصَّلَ مَصِيرَ الْعِبَادِ مِنْ لَحْظَةِ الْمَوْتِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَمَنْ شَقِيَ فَبِالْعَدْلِ وَمَنْ سَعِدَ فَبِالْفَضْلِ، أَحَمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ الْحَقِّ الَّذِي لَا مَطْلَبَ فَوْقَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ وَأَرْسَخِهَا فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ بِمَصِيرِ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهُوَ مَوْضِعٌ جَلِيلٌ يَتَّصِلُ بِحَيَاةِ الْبَرَزَخِ، تِلْكَ الْحَيَاةِ الْوَاسِطَةِ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الَّتِي يَذُوقُ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا مِنْ مَصِيرِهِ، فَيَنْعَمُ أَوْ يُعَذَّبُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.

وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى أَنَّ الرُّوحَ لَا تَفْنَى بِالمَوْتِ،  
بَلْ تَنْتَقِلُ إِلَى دَارٍ أُخْرَى، تُبَشِّرُ الْمُؤْمِنَ أَوْ تُخَوِّفُ الْكَافِرَ، وَتُعْطِيهِ مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ  
أَوْ سُمُومِ النَّارِ.

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:  
١٠٠]، فَهُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَسْرَحُ حَيَاةٍ لِلْأَرْوَاحِ حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ  
بِالْبَعْثِ.

قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ  
يُعَذَّبُونَ فِي الْبَرَزَخِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ عَذَابٌ حَقِيقِيٌّ مَلْمُوسٌ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ  
وَعْدٍ مُؤَجَّلٍ.

وَقَالَ فِي حَقِّ الشُّهَدَاءِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتًا بَلْ  
أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ  
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:  
١٦٩-١٧٠]. فَثَبَّتَ بِالْآيَاتِ أَنَّ الرُّوحَ بَعْدَ المَوْتِ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ.



**وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَيَّ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ» فَهَذَا نَصٌّ قَطْعِيٌّ فِي أَنَّ الْأَرْوَاحَ تُكْرَمُ وَتُنْعَمُ بَعْدَ الْمَوْتِ.**

وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ الطَّوِيلِ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ) وَصَفُ دَقِيقٍ لِمَسِيرِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَأَمَّا رُوحُ الْمُؤْمِنِ فَتَصْعَدُ فَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُسَجَّلُ فِي عَلِيِّينَ، ثُمَّ تُعَادُ إِلَى جَسَدِهِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَأْتِيهِ مِنْ نَسِيمِهَا وَرَوْحِهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ. وَأَمَّا رُوحُ الْكَافِرِ فَتُطْرَحُ طَرَحًا وَتُعَلَّقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، وَتُكْتَبُ فِي سَجِّينَ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ. وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ جَامِعٌ يَفْصِلُ مَصِيرَ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

**ومما هو مقررٌ عند أهل السنة والجماعة أن الأرواح بعد الموت تنعم أو تُعذب، وأنها في مقامٍ مُستقلٍّ لا يُدرِكُهُ أهلُ الدُّنيا، وَقَالَ: “مَسَائِلُ الْأَرْوَاحِ وَالْبَرْزَخِ مِنْ أَوْضَحِ مَا بَيْنَهُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ.”**

## ذكر بن القيم في الروح:

“إِنَّ الْأَرْوَاحَ بَعْدَ فِرَاقِ الْأَبْدَانِ مُتَّفَاوِتَةٌ فِي مَنَازِلِهَا تَفَاوُتًا عَظِيمًا، فَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ.”

يقول ابن الجوزي:

“مَوْضِعُ الرُّوحِ بَعْدَ المَوْتِ عَلَىٰ قَدْرِ مَوْضِعِ صَاحِبِهَا مِنْ رَبِّهِ، فَالْمُؤْمِنُ لَهُ مَقَامٌ أَنَسٍ وَالْمُعَانِدُ لَهُ مَقَامٌ وَحْشَةٍ.”

وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، دَلِيلٌ عَلَىٰ بَقَاءِ الْأَرْوَاحِ وَانفِصَالِهَا عَنِ الْأَبْدَانِ، فَمَا أُمِسِكَ كَانَ هُوَ المَيِّتَ، وَمَا أُرْسِلَ كَانَ هُوَ النَّائِمَ. وَهَذَا يَبْتُ بِهٖ أَنَّ الرُّوحَ شَأْنَهَا غَيْرُ شَأْنِ البَدَنِ، فَالْمَوْتُ لَيْسَ فَنَاءً بَلْ نَقْلَةٌ إِلَىٰ دَارٍ أُخْرَىٰ.

وهنا يظهر البعد التربوي العظيم:

فَالْمُؤْمِنُ حِينَ يَعْلَمُ أَنَّ رُوحَهُ بَعْدَ المَوْتِ سَتَنَعَمُ أَوْ تُعَذَّبُ، وَأَنَّهَا لَنْ تَفْنَىٰ بَلْ سَتَبْقَىٰ إِلَىٰ يَوْمِ البَعْثِ، كَانَ حَرِيًّا بِهٖ أَنْ يُجَدِّدَ التَّوْبَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ مَظَالِمِ العِبَادَةِ، وَأَنْ يَسْعَىٰ فِي الطَّاعَاتِ وَالقُرْبَاتِ.



فَالرُّوحُ الَّتِي تَتَطَهَّرُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتَزْهُو بِالْإِيمَانِ يَكُونُ مَقَامُهَا فِي أَعْلَى  
عِلِّيِّينَ، وَالرُّوحُ الَّتِي تَتَلَطَّحُ بِالْمَعَاصِي وَتَسْتَقْبِلُ الطَّاعَاتِ يَكُونُ مَقَامُهَا فِي  
أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

فَالْعَاقِلُ الَّذِي يَتَأَمَّلُ مَصِيرَ الْأَرْوَاحِ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَصِيرٌ لَا مَفْرَافَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ  
أَمَامَهُ إِلَّا أَحَدُ طَرِيقَيْنِ: إِمَّا نَعِيمٌ أَبَدِيٌّ، وَإِمَّا شَقَاءٌ مُسْتَمِرٌّ. فَهَلْ يَقْبَلُ أَحَدٌ عَاقِلٌ  
أَنْ يَضَيِّعَ عُمُرَهُ فِي غَفْلَةٍ وَمَتَاعٍ فَنِ، وَيُعْرِضَ عَنِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ؟

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَرْوَاحَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ فِي رَوْحٍ وَرِيحَانٍ، وَاجْمَعْ لَنَا بَيْنَ  
رِضْوَانِكَ وَجَنَّتِكَ، وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِ الْقُبُورِ وَسُوءِ الْمَصِيرِ، وَاخْتَمِ لَنَا بِالسَّعَادَةِ  
وَالْفَوْزِ الْكَبِيرِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## زِيَارَةُ الْقُبُورِ وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَاتَّعَظَ الْقُلُوبَ بِهِ، وَجَعَلَ زِيَارَةَ الْقُبُورِ سَبَبًا لِلتَّزْكِيَةِ وَالتَّذَكُّرِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

شَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ زِيَارَةَ الْقُبُورِ، وَلَمْ تَكُنْ مَشْرُوعَةً مِنْ قَبْلِ قَالِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

فَبَعْدَ أَنْ كَانَ النَّهْيُ لِمَا يَخْشَى مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، جَاءَ الْإِذْنُ بَعْدَ أَنْ تَرَبَّتِ الْقُلُوبُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالثَّبَاتِ، فَصَارَتْ زِيَارَةُ الْقُبُورِ عِبَادَةً عَظِيمَةً يُقْصَدُ بِهَا إِعْتِبَارُ الْقَلْبِ وَإِحْيَاءُ مَعَانِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.



**وَالْمُؤْمِنُ إِذَا وَقَفَ بَيْنَ الْقُبُورِ، وَنَظَرَ إِلَى تِلْكَ الْأَجْدَاثِ الَّتِي تَضُمُّ مَنْ كَانُوا قَبْلَ أَيَّامٍ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَإِذَا رَأَى الصَّامِتِينَ فِي تُرَابِهِمْ وَقَدْ طُوِيَتْ صَفَحَاتُ أَعْمَالِهِمْ، عَلِمَ أَنَّهُ سَيَكُونُ غَدًا أَحَدَ سُكَّانِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَأَنَّهُ لَا مَفْرَ لَهٗ مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ: «إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ فَلْيَزُرْ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا» (رَوَاهُ النَّسَائِيُّ)، فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرِ بِالزِّيَارَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْبِدْعَةِ فِيهَا.**

**وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ إِلَى الْبَيْعِ فَيَسْلِمُ عَلَى أَهْلِ الْقُبُورِ وَيَدْعُو لَهُمْ، وَمِنْ دُعَائِهِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).**

**فَهُوَ أَدَبٌ نَبَوِيٌّ عَالٍ، يُعَلِّمُ الْمُسْلِمَ أَنَّهُ بِزِيَارَتِهِ يُؤَدِّي حَقًّا وَيَغْنَمُ ذِكْرَى، وَيَتَأَدَّبُ فِي كَلَامِهِ وَدُعَائِهِ، فَيَسْلِمُ مِنْ غُلُوٍّ أَوْ شَرِكٍ أَوْ مُحَادَثَةٍ بِمَا لَا يَنْفَعُ.**

“إِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ سِرُّهَا أَنَّهَا تُورِثُ فِي الْقَلْبِ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ: تَذْكَيرَ الْمَعَادِ، وَتَزْهِيدَ فِي الدُّنْيَا، وَرَغْبَةَ فِي الْآخِرَةِ.” **ابن القيم**.

### قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي صَيْدِ الْخَاطِرِ:

“إِذَا مَرَرْتَ عَلَى الْقُبُورِ فَكَأَنَّكَ تَرَى أَهْلَهَا قَدْ أَجْلَسُوا لِلسُّؤَالِ، وَقَدْ طُوِيَتْ صَفَحَاتُ أَعْمَالِهِمْ، فَاعْتَبِرْ بِمَنْ غَابَ وَتَزَوَّدْ لِمَنْصِرِفِكَ.”

### يقرر شيخ الإسلام:

“الْمَقْصُودُ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ الدُّعَاءُ لِلْمَوْتَى وَالِاعْتِبَارُ، لَا طَلْبُ الْحَاجَاتِ مِنْهُمْ وَلَا الْإِسْتِغَاثَةَ بِهِمْ، فَهَذَا مِمَّا نَهَى اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ.”

**إِذَا تَأَمَّلَ الْمُؤْمِنُ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ عَلِمَ أَنَّ الْمَقَابِرَ مَدَارِسُ صَامِتَةٌ، تُلَقِّنُ الْمَرْءَ مَا لَا يُلْقِنُهُ أَفْصَحُ خَطِيبٍ، وَتُحَرِّكُ فِي النَّفْسِ مَا لَا تُحَرِّكُهُ أْبْلَغُ عِبَارَةٍ، فَهِيَ تَخْتَصِرُ الدُّنْيَا فِي مَشْهَدٍ وَاحِدٍ: قُبُورٌ مَفْتُوحَةٌ، وَأَجْسَادٌ مَوْضُوعَةٌ، وَأَرْوَاحٌ فِي نَعِيمٍ أَوْ فِي عَذَابٍ.**

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ: «تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ». وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ: أَنْ يَنْتَقِلَ الْمَرْءُ مِنْ غَفْلَةٍ إِلَى يَقَظَةٍ، وَمِنْ طُولِ أَمَلٍ إِلَى صِدْقِ عَمَلٍ.



وَإِذَا أَلْقَيْنَا نَظْرًا فِي وَأَقِعْنَا الْمُعَاصِرِ رَأِينَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَحَوَّلُونَ فِي زِيَارَتِهِمْ لِلْمَقَابِرِ إِلَى مَظَاهِرَ خَاطِئَةٍ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُهَا مَوْضِعًا لِلْعَادَاتِ وَالْمَجَامَلَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَوِّلُهَا إِلَى مَوْسِمٍ لِلْبِدْعِ وَالْخُرَافَاتِ، وَقَدْ يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ حَاجَاتٍ هِيَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا انْحِرَافٌ عَقْدِيٌّ يُتَاقَضُ مَقْصُودَ الزِّيَارَةِ. إِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ الْمَشْرُوعَةَ هِيَ مَا وَافَقَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ: دُعَاءٌ لِلْمَوْتَى، وَتَذَكُّرٌ لِلْمَصِيرِ، وَتَزَوُّدٌ لِلْآخِرَةِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الزِّيَارَةَ تَشْرَعُ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، لِمَا وَرَدَ مِنْ نَهْيٍ فِي حَقِّهِنَّ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَحْمِلُ النَّهْيَ عَلَى الْإِكْتَارِ وَالْمُوَاطَبَةِ لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ فِتْنَةٍ، وَيَقِي الْأَصْلُ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ مَحْصُولٌ بِمَجْرَدِ التَّذَكُّرِ، فَمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَجْلِسِ عِلْمٍ حَصَلَ لَهُ نَوْعٌ مَقْصُودٍ، وَلَكِنْ زِيَارَةُ الْقُبُورِ لَهَا أَثَرٌ أَبْلَغُ فِي تَحْرِيكِ الْقَلْبِ وَتَلْيِينِهِ.

إِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ جِسْرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا جَلَسَ الْمُؤْمِنُ بَيْنَ الْأَجْدَاثِ وَتَأَمَّلَ صَمْتَ الْمَقْبُورِينَ وَغُرْبَتَهُمْ، عَرَفَ قِيَمَةَ الْحَيَاةِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا فُرْصَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تُعَادُ، وَأَنَّ زَادَ الْيَوْمِ هُوَ مَا سَيَكُونُ غَدًا أَنْسًا أَوْ وَحْشَةً فِي قَبْرِهِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيُذَمِّنْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَزِيَارَةَ الْقُبُورِ."

اللَّهُمَّ اجْعَلْ زِيَارَتَنَا لِلْقُبُورِ زِيَارَةً تَذَكُّرٍ وَاعْتِبَارٍ، وَلَا تَجْعَلْهَا زِيَارَةً رِيَاءٍ أَوْ  
بِدْعَةٍ أَوْ افْتِتَانٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَذَكَّرُونَ بِهَا الْآخِرَةَ، وَيَتَزَوَّدُونَ لَهَا  
بِالصَّالِحَاتِ، وَارزُقْنَا حُسْنَ الْخَاتِمَةِ وَالِاسْتِعْدَادَ لِمَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## النَّفْخُ فِي الصُّورِ وَبِدَايَةُ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِعِ الْكَوْنِ وَخَالِقِ الْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ، جَعَلَ لِلْحَيَاةِ أَجَلًا مَحْدُودًا، وَلِلدُّنْيَا نِهَآيَةً مَرْسُومَةً، وَجَعَلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا لِحِزَابِ الْعِبَادِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، أَحَمَدُهُ حَمْدًا يَمَلَأُ الْقُلُوبَ نُورًا، وَالْأَلْسِنَةَ ذِكْرًا، وَالْجَوَارِحَ طَاعَةً وَشُكْرًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِنَّ أَوَّلَ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْعَظِيمِ النَّفْخُ فِي الصُّورِ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي يَتَّقَلُ بِالعَالَمِ كُلِّهِ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، وَمِنْ نِظَامٍ إِلَى نِظَامٍ، وَمِنْ حَيَاةٍ إِلَى حَيَاةٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

## فَذَكَرْ نَفْخَتَيْنِ:

نَفْخَةَ الصَّعِقِ الَّتِي يَهْلِكُ فِيهَا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَنَفْخَةَ الْبَعْثِ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَهَذَا مَشْهُدٌ كَوْنِي عَظِيمٌ، تَتَغَيَّرُ فِيهِ مَعَالِمُ الْوُجُودِ كُلِّهَا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: آيْتُ.

قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: آيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: آيْتُ. قَالَ: «ثُمَّ يُنَزَّلُ

اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا

عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

فَبَيَّنَ الْحَدِيثُ أَنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَمَدٌ مَعْلُومٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ

إِعَادَةَ الْخَلْقِ تَكُونُ بِإِحْيَاءِ عَظْمٍ صَغِيرٍ يُسَمَّى عَجْبَ الذَّنْبِ، وَهُوَ أَصْلُ التَّرْكِيبِ

وَمَوْضِعُ الْإِعَادَةِ.

وَالصُّورُ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ، وَهُوَ فِي يَدِ

إِسْرَافِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَعِدٌّ لِأَمْرِ اللَّهِ. وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَرِ أَنَّهُ مُدْ خُلِقَ

القرن وإسرافيل مُتَهَيِّئٌ لِلنَّفْحِ، وَأَنَّهُ قَدْ أَصْغَى أُذُنَهُ يَتَنَظَّرُ الأَمْرَ، فَمَتَى أَمِرَ نَفْحَ. وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ القِيَامَةَ قَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا قَدْ تَقَعُ فِي أَيِّ لِحْظَةٍ.

قد قال ابن عباس رضي الله عنهما:

“النَّفْحَاتُ ثَلَاثٌ: نَفْحَةُ الفَرْعِ، ثُمَّ نَفْحَةُ الصَّعِقِ، ثُمَّ نَفْحَةُ البَعْثِ.”

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

“النُّصُوصُ قَدْ دَلَّتْ عَلَيَّ أَنَّ المَوْتَ العَامَّ يَكُونُ بِنَفْحَةِ الصَّعِقِ، وَأَنَّ البَعْثَ العَامَّ يَكُونُ بِنَفْحَةِ أُخْرَى، وَأَنَّ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ السَّلَفِ مِنْ نَفْحَةِ الفَرْعِ فَهُوَ صَحِيحٌ تَجْتَمِعُ مَعَهَا فِي هَذَا السِّيَاقِ.”

قال ابن القيم:

“هَذَا المَشْهَدُ يَظْهَرُ فِيهِ قَهْرُ اللّهِ وَسُلْطَانُهُ، فَيَخْرُ الكَوْنُ كُلُّهُ صَرِيعًا، ثُمَّ يَظْهَرُ فِيهِ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ فَيُحْيِي العِبَادَ بَعْدَ المَوْتِ.”

وَفِي هَذَا المَشْهَدِ العَظِيمِ تَتَغَيَّرُ مَعَالِمُ الكَوْنِ: تَتَشَقُّ السَّمَاوَاتُ، وَتَسَاقُطُ الكَوَاكِبُ، وَتُسَيَّرُ الجِبَالُ، وَتَنْفَطِرُ البِحَارُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ \* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ \* وَإِذَا  
الجِبَالُ سُيِّرَتْ \* وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ \* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ  
سُجِّرَتْ \* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ١-٧].

وَقَالَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ \* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ \* وَإِذَا الْبِحَارُ  
فُجِّرَتْ \* وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ١-٤]. فَهَذَا انْقِلَابٌ كَوْنِيٌّ شَامِلٌ  
يُؤَدِّنُ بِنَهَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِدَايَةِ مَشْهَدِ الْقِيَامَةِ.

وَمِنْ بَابِ التَّأْصِيلِ الْعِلْمِيِّ، فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ  
النَّفْخَ فِي الصُّورِ حَقٌّ، وَأَنَّهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمِنْ أُصُولِ  
مَذْهَبِهِمُ الَّتِي لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا. وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ كَثِيرٍ وَغَيْرُهُ إِجْمَاعَ السَّلَفِ  
عَلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ فَسَّرَ الْمُفَسِّرُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النمل: ٨٧] عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ  
الْفَزَعُ الْعَامُّ، وَأَنَّ هَذِهِ أَوَّلُ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ الَّتِي تَتَغَيَّرُ فِيهَا أَحْوَالُ الْكَوْنِ.



وَهُنَا يَأْتِي الدَّرْسُ التَّرْبَوِيُّ البَاهِرُ: إِذَا كَانَ الكَوْنُ كُلُّهُ يَنْهَدِمُ بِنَفْخَةِ  
وَاحِدَةٍ، وَإِذَا كَانَ البَشَرُ كُلُّهُمْ سَيَخْرُونَ صَرَعى عِنْدَ الصَّعْقَةِ، فَكَيْفَ يَغْتَرُّ مَغْرُورٌ  
بِقُوَّتِهِ، أَوْ يَتَكَبَّرُ مُتَكَبِّرٌ بِسُلْطَانِهِ؟ إِنَّ تَذَكَّرَ هَذَا المَشْهَدَ يَكْفِي لِرَبِّي فِي القَلْبِ  
مَعْرِفَةَ قَدْرِ الدُّنْيَا وَحَجْمِهَا، وَأَنَّهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا لَا تَصْمُدُ أَمَامَ نَفْخَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ  
قَرْنِ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْمَنُونَ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، واجْمَعْ لَنَا بَيْنَ رَحْمَتِكَ  
وَمَغْفِرَتِكَ وَالجَنَانِ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا أهْوَالَ ذَلِكَ اليَوْمِ، واجْعَلْنَا مِمَّنْ تُبَشِّرُهُمُ  
المَلَائِكَةُ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## البعث والنشور: خروج الناس من القبور

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، أَظْهَرَ  
آيَاتِ قُدْرَتِهِ فِي الْبَعْثِ وَالْإِعَادَةِ، وَأَقَامَ الْبُرْهَانَ عَلَى وَقُوعِ السَّاعَةِ وَحُقُوقِ  
الْجَزَاءِ وَالْعِقَابِ، أَحَمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا  
شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْبَاعِثُ لِلنَّاسِ عَلَى نُورٍ وَبَيِّنَةٍ،  
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ ثَابِتٌ، أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، وَدَلَّ عَلَيْهِ  
الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ. وَهُوَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الَّتِي لَا  
يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
تُبْعَثُونَ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا  
دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ  
الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾.

فَجَعَلَ خُرُوجَ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، دَعْوَةَ إِلَهِيَّةٍ تُحْيِي  
الْمَوْتَى وَتُقِيمُهُمْ بَيْنَ يَدَيِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ تَفَاصِيلَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ؛ فَمِنْهَا حَدِيثُ أَبِي  
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ... ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا  
يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ  
الدَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

فَبَيَّنَ الْحَدِيثُ أَنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ الَّذِي تُعَادُ مِنْهُ الْأَبْدَانُ هُوَ عَجْبُ الدَّنْبِ،  
وَأَنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ مَاءً فَيَنْبُتُ الْخَلْقُ كَمَا يَنْبُتُ الزَّرْعُ، فَتَشْكَلُ الْأَجْسَادُ وَتُعَادُ  
الْأَرْوَاحُ إِلَيْهَا بِقُدْرَةِ اللَّهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، وَإِنْ  
كَانَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ يَسِيرًا، فَلَا عَادَةَ أَيْسَرُ مِنَ الْإِبْدَاءِ فِي مَفْهُومِ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ.

وَلِتَقْرِبَ الْمَعْقُولِ إِلَى الْأَفْهَامِ، ضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ:  
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا  
الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

فَالَّذِي أَوْجَدَ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِمْ بَعْدَ الْبَلَىٰ، بَلِ الْإِعَادَةُ  
أَيْسَرُ وَأَظْهَرُ فِي الْقُدْرَةِ.

وَقَدْ اتَّفَقَ أَيْمَةُ السَّلَفِ عَلَىٰ أَنَّ الْبَعْثَ بَعَثٌ حَقِيقِيٌّ جِسْمَانِيٌّ، تُعَادُ فِيهِ  
الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَبْدَانِ، لَا بَعَثٌ مَعْنَوِيٌّ كَمَا زَعَمَ الْفَلَاسِفَةُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
يَنْسِلُونَ﴾، وَقَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

أَمَّا الْفَلَاسِفَةُ وَالْمُلْحِدُونَ، فَقَدْ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ بِحُجَّةٍ تَفَرَّقَ الْجَسَدُ  
وَتَلَاشِيَ أَجْزَائِهِ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا  
لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي  
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا تُعْجِزُهُ قُدْرَةٌ، وَلَا تَخْفِي عَلَيْهِ ذَرَّةٌ.

وَإِنَّ إِنْكَارَ الْبَعْثِ لَيْسَ مَسْأَلَةً فِكْرِيَّةً فَقَطْ، بَلِ هُوَ طَعْنٌ فِي عَدْلِ اللَّهِ  
وَحِكْمَتِهِ؛ فَكَيْفَ يَسْتَوِي مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ، بِمَنْ ظَلَمَ وَعَتَا وَتَجَبَّرَ؟ وَكَيْفَ  
يُرْسِلُ اللَّهُ رُسُلَهُ وَيُنزِلُ كُتُبَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ حِسَابٌ وَلَا جَزَاءٌ؟

إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْبَعْثِ مِعْيَارُ الْعَدْلِ وَقَاعِدَةُ الدِّينِ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ فَقَدْ كَفَرَ  
بِالْإِجْمَاعِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

فَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، شَهِدَتْ بِهِ النُّصُوصُ وَنَطَقَ بِهِ  
الْعَقْلُ الصَّرِيحُ، وَمَنْ أَنْشَأَ الْخَلْقَ مِنَ الْعَدَمِ يَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ بَعْدَ الْفَنَاءِ، وَمَا  
يُنْكِرُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ أَعْمَى اللَّهُ بَصِيرَتَهُ وَغَلَّفَ قَلْبَهُ بِالْكِبْرِ وَالْجُحُودِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَثَبِّتْنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَأَحْسِنْ لَنَا  
الْخِتَامَ، وَاجْعَلْ قُبُورَنَا رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَةِ الْمُتَّقِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## الحَشْرُ: جَمْعُ الْخَلَائِقِ لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَجْمَعُ الْخَلَائِقَ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، يُوفِّي فِيهِ كُلَّ عَامِلٍ جَزَاءَهُ، وَيَقْضِي فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ بِالْحَقِّ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْبَشِيرُ النَّذِيرُ، وَالسَّرَاجُ الْمُنِيرُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

مِنَ الْحَقَائِقِ الْكُبْرَى الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْوَحْيُ، وَتَوَاتَرَتْ بِهَا نُصُوصُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْشُرُ الْخَلَائِقَ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، لِلْعَرْضِ عَلَيْهِ وَالْفَضْلِ بَيْنَهُمْ.



قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُبَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، وَقَالَ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا \* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِذَا﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾.

فَالْحَشْرُ عَامٌّ شَامِلٌ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ، لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ أَحَدٌ، حَتَّى الْبَهَائِمُ وَالْوُحُوشُ تُحْشَرُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، لِيَشْهَدَ الْكَوْنُ عَدْلَ اللَّهِ الْمُطْلَقَ وَحِكْمَتَهُ الْبَالِغَةَ.

وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّنَّةِ تَفَاصِيلَ هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ، فَبِإِذْنِ الصَّاحِحِينَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاءٍ غُرْلًا»، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

مَشْهَدٌ جَلِيلٌ يَقِفُ فِيهِ النَّاسُ جَمِيعًا بِغَيْرِ زِينَةٍ وَلَا لِيَاسٍ وَلَا مَالٍ، كَمَا وُلِدُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، لَا يَحْمِلُونَ مَعَهُمْ إِلَّا أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْفَعُ أَحَدًا جَاهٌ وَلَا نَسَبٌ، إِنَّمَا الْمَوْقِفُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ الْمُقَدَّادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُذْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ...» الْحَدِيثُ.

يَصِفُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ شِدَّةَ الْكَرْبِ وَالْحَرَّ يَوْمَ الْحَشْرِ، حَتَّى يَغْمُرَ الْعَرَقُ  
النَّاسَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ، وَالنَّاسُ  
فِي فَرْعٍ وَكَرْبٍ يَنْتَظِرُونَ بَدْءَ الْحِسَابِ، يَطُوفُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ يَطْلُبُونَ الشَّفَاعَةَ،  
فَيَعْتَذِرُ الْجَمِيعُ حَتَّى يُؤْذَنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى، فَيَبْدَأُ الْحِسَابُ وَتُشْرِقُ  
الرَّحْمَةُ بَعْدَ طَوْلِ الْإِنْتِظَارِ.

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْحَشْرَ يَكُونُ بِالْأَجْسَادِ  
وَالْأَرْوَاحِ مَعًا، لَا بِمَعْنَى رُوحِيٍّ مَجَازِيٍّ كَمَا زَعَمَتِ الْفَلَّاسِفَةُ، وَلَا بِالتَّمثِيلِ  
الرَّمْزِيِّ كَمَا ادَّعَى الْمُتَأَثِّرُونَ بِالمَنَاهِجِ الْبَاطِلَةِ. بَلْ هُوَ جَمْعٌ حَقِيقِيٌّ، تُعَادُ فِيهِ  
الْأَبْدَانُ الَّتِي فَنِيَتْ، وَتُرَدُّ إِلَيْهَا الْأَرْوَاحُ، لِيَقِفَ الْجَمِيعُ عَلَى أَرْضٍ جَدِيدَةٍ خَلَقَهَا  
اللَّهُ لِذَلِكَ الْيَوْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ  
مَشْهُودٌ﴾.

وَقَدْ أَثَارَ الْمُلْحِدُونَ شُبُهَةً فِي إِمْكَانِ جَمْعِ الْخَلَائِقِ عَلَى كَثْرَتِهِمْ فِي  
مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَزَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

فَالْمَكَانُ الَّذِي يُحْشَرُونَ فِيهِ لَيْسَ هَذِهِ الْأَرْضُ، بَلْ أَرْضٌ أُخْرَى بَيْنَاءِ نَقِيَّةٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْنَاءِ عَفْرَاءٍ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). فَزَالَ الْإِشْكَالُ وَبَطَلَ الْإِعْتِرَاضُ، إِذْ قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَحُدُّهَا عَقْلٌ، وَلَا تَخْضَعُ لِقِيَاسٍ، وَمَا خُلِقَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا بِبَعْضِ أَمْرِهِ، فَكَيْفَ يَعْجِزُ عَنْ جَمْعِ خَلْقِهِ فِي أَرْضٍ يُبَدِّلُهَا مَتَى شَاءَ؟

وَمِنْ كَمَالِ عَدْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّ الْحَشْرَ يَعْمُ حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجِلْحَاءِ مِنَ الْقِرْنَاءِ»، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ لَهَا: «كُونِي تَرَابًا»، فَحَيْثُ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾. مَشْهَدٌ يَمَلَأُ الْقَلْبَ خَشْيَةً مِنْ عَدْلِ اللَّهِ، وَيَغْمُرُهُ يَقِينًا بِرَحْمَتِهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

وَهَكَذَا يَتَجَلَّى الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ نُورًا يُبَدِّدُ غَفْلَتَهُ، وَيَذَكِّرُهُ بِالْمَصِيرِ الَّذِي لَا مَهْرَبَ مِنْهُ. فَكُلُّ مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ سَيُحْشَرُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَيُسْأَلُ عَنْ عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ وَمَالِهِ، لَنْ يَظْلِمَ أَحَدًا، وَلَنْ يَغْتَرَّ بِقُوَّتِهِ وَلَا بِمَكَانَتِهِ، لِأَنَّ الْمَوْقِفَ بَيْنَ يَدَيْ الْجَبَّارِ لَا يَقِفُ فِيهِ إِلَّا الصِّدْقُ وَالضَّعْفُ وَالرَّجَاءُ.

إِنَّ الْحَشْرَ لَيْسَ حَدَثًا أُخْرَوِيًّا نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا نَظْرِيًّا، بَلْ هُوَ إِيمَانٌ عَمِيقٌ  
يَضْبِطُ الْحَيَاةَ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيَغْرِسُ فِي الْقَلْبِ رِقَابَةَ اللَّهِ وَمَهَابَتَهُ،  
وَيَمْنَحُ الْإِنْسَانَ طُمَأْنِينَةَ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي يَرُدُّ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيُسْكِنُ فِي  
النَّفْسِ يَقِينًا بِأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ الْفَضْلِ وَالْجَزَاءِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا يَوْمَ الْحَشْرِ مِنَ الْأَمِينِينَ، وَيَوْمَ الْعَرْضِ مِنَ الْمُكْرَمِينَ،  
وَوَظَلَّلْنَا فِي ظِلِّكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ، وَآمِنُنْ عَلَيْنَا بِرَحْمَتِكَ وَرِضْوَانِكَ، وَقَرِّبْنَا  
مِنْ زُمْرَةِ نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ ﷺ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## تَطَائِرُ الصُّحُفِ وَأَخْذُ الْكِتَابِ بِالْيَمِينِ أَوْ الشِّمَالِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، يُخْصِي عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ، وَيُسْجِلُ عَلَيْهِمْ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَيُخْفِي عَلَيْهِمْ ذُنُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِيُظْهِرَهَا عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلًا وَفَضْلًا. نَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى سِتْرِهِ وَإِمْنَالِهِ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَهُ وَغُفْرَانَهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مَنْ رَجَا الرَّحْمَةَ وَخَافَ الْعَدْلَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ مَشْهَدَ تَطَائِرِ الصُّحُفِ، ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يُعْطَى فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ كِتَابَهُ الَّذِي كُتِبَتْ فِيهِ أَعْمَالُهُ وَسُطِرَ فِيهِ مَا قَدَّمَ وَمَا آخَرَ، فَلَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.\*

**مَشْهُدٌ يَهُولُ الْأَبْصَارَ، وَيُقَشِّعِرُّ لَهُ الْجِلْدُ، وَتَنْزَلُ فِيهِ الْقُلُوبُ، حِينَ تُنَشِّرُ الصُّحُفُ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَتَلَقَّاهَا كُلُّ إِنْسَانٍ بِقَدَرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ، فَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَأَحْسَنَ وَاسْتَتَرَ بِسِتْرِ اللَّهِ فَيَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ وَاسْتَكْبَرَ وَأَضَاعَ الْعُمُرَ فَيَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا \* وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا \* وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ \* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا \* وَيَصَلِّي سَعِيرًا \*﴾.**

فِيَا لَهُ مِنْ مَشْهَدٍ عَظِيمٍ تَنْقَسِمُ فِيهِ الْوُجُوهُ بَيْنَ نُورٍ وَسَوَادٍ، وَتَتَبَدَّدُ فِيهِ الْأَحْوَالُ بَيْنَ فَرَحٍ وَخَزَايَا. الْمُؤْمِنُ إِذَا تَلَقَّى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ نَادَىٰ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ فَرِحًا مُبْتَهَجًا: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ \* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ \* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ \* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ \*﴾، وَيَفْتَحِرُ أَمَامَ الْخَلْقِ بِكِتَابِهِ لِأَنَّهُ يَرَىٰ فِيهِ بَرَكَةَ عَمَلِهِ، وَأَثَرَ طَاعَتِهِ، وَيَرَىٰ سَيِّئَاتِهِ مَغْفُورَةً بِسِتْرِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ.

◆ وَأَمَّا الْآخِرُ، الَّذِي قَطَعَ حَبْلَ الْإِيمَانِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَاسْتَهَانَ بِنِعْمِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، فَيَتَلَقَّى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، وَيَعْلُو صَوْتُهُ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ \* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ \* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ \* مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ \*﴾

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿١﴾، فَيَنْقَلِبُ عَلَيَّ وَجْهَهُ فِي الْهَوَى، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَضَاعَ نَفْسَهُ فِي دُنْيَاهُ وَفَقَدَ نَجَاتَهُ فِي أُخْرَاهُ.

إِنَّهُ الْيَوْمَ الَّذِي تُكْشَفُ فِيهِ الْأَسْرَارُ وَتُفْضَحُ الْأَعْمَالُ، وَيَرَى الْعَبْدُ كُلَّ خَطْوَةٍ خَطَاَهَا، وَكُلَّ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا، وَكُلَّ نَظْرَةٍ نَظَرَهَا، فَإِذَا هُوَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ ذُنُوبُهُ، وَضَاقَ بِهِ الْمَكَانُ، فَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى إِلَّا بِاللَّهِ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

**وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:** «يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنْفَهُ فَيَقْرَأُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». فَيَأْتِيهِ مِنْ مَوْقِفٍ يَذُوبُ لَهُ الْقَلْبُ خُشُوعًا، وَتَهْتَرُ فِيهِ النُّفُوسُ رَجَاءً، حِينَ يَكُونُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ سَتَّارٍ غُفُورٍ، يَسْتُرُ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ ثُمَّ يَمْنَحُهُ عَفْوَهُ.

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْ مَنْ اسْتَتَرَ بِسِتْرِهِ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلْمَعَاصِي وَلَمْ يَتُبْ فَضِحَ عَلَيَّ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، يُقَالُ لَهُ: هَاؤُمُ افْرُؤُوا كِتَابِيهِ، فَيَقْرَأُونَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأُمَّمِ، فَيَكُونُ الْكِتَابُ شَاهِدًا عَلَيْهِ وَالْعَدْلُ حَاكِمًا فِيهِ.

وَيُخْبِرُنَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَكْتُوبٌ وَمَحْفُوظٌ، قَالَ تَعَالَى:  
**﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \*  
 اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.**

فَيَقَالُ لِلْعَبْدِ: اقْرَأْ نَفْسَكَ، وَاَحْكُمْ عَلَيَّ نَفْسِكَ، فَقَدْ كُتِبَ كُلُّ مَا نَطَقْتَ  
 وَعَمِلْتَ، وَسَجَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ لَا يَغْفُلُونَ وَلَا يُفَرِّطُونَ.

وَتَطَايَرُ الصُّحُفُ يَوْمَئِذٍ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا سَرَائِيلُ نُورٍ، فَيَتَلَقَّهَا كُلُّ إِنْسَانٍ  
 حَيْثُ قُدِّرَ لَهُ، فَيَتَذَكَّرُ كُلُّ لَحْظَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْأَيَّامَ الَّتِي كَانَ يَطْنُهَا ذَهَبَتْ  
 قَدْ عَادَتْ إِلَيْهِ شَاهِدَةً عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، فَيَا سَعَادَةَ مَنْ كَانَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَيَا حَسْرَةَ مَنْ  
 كَانَ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ.

إِنَّ ذِكْرَ هَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ لَيْسَ خَبْرًا يُتَلَىٰ فَقَطُّ، بَلْ هُوَ نُورٌ يُنَزَّلُ الْعِلْمَ  
 مَنْزِلَةَ الْعَمَلِ، وَيُحَوِّلُ الْمَعْرِفَةَ إِلَىٰ تَرْكِيبَةٍ وَاسْتِعْدَادٍ. فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقْرَأُ كِتَابَهُ  
 بِيَدَيْهِ كَانَ أَشَدَّ مَا يَكُونُ فِي تَفَقُّدِ أَعْمَالِهِ وَتَصْحِيحِ نِيَّتِهِ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا يُسَطَّرُ  
 الْيَوْمَ سَيَقْرَأُ غَدًا أَصْبَحَ وَقَافًا عِنْدَ كُلِّ خَطْوَةٍ وَنَظْرَةٍ وَكَلِمَةٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُؤْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَيُقَالُ لَهُ: **﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ  
 آمِنِينَ﴾**، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْخِزْيِ وَالْفَضِيحَةِ يَوْمَ تَطَايَرُ الصُّحُفُ وَتُبْدَى السَّرَائِرُ،



وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا سَتَرْتَهَا عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا، وَاجْعَلْنَا فِي ظِلِّكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ، وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## الشَّفَاعَةُ الْكُبْرَى وَمَقَامُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَحْيَا الْقُلُوبَ بِنُورِ الْهُدَى، وَخَتَمَ الرِّسَالَاتِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلَهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً وَمَلْجَأً وَمَفْرَعًا يَوْمَ الْكَرْبِ وَالْفَزَعِ الْأَكْبَرِ. نَحْمَدُهُ حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِي مَزِيدَهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إِنَّ مَشْهَدَ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْظَمِ مَشَاهِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ، وَمِنْ أَبْهَى مَظَاهِرِ تَكْرِيمِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ. وَهُوَ الْمَقَامُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، فَسَمَّاهُ مَقَامًا مَحْمُودًا لِأَنَّهُ مَوْضِعُ ثَنَاءٍ وَمَدْحٍ تَوَجَّهَ فِيهِ أَنْظَارُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا إِلَى شَخْصِهِ ﷺ، فَيَحْمَدُهُ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ عَلَى شَفَاعَتِهِ، وَيَعْرِفُونَ عِظَمَ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ.

وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْحَقُهُمُ الْغَمُّ وَالْكَرْبُ حَتَّى لَا يُطِيقُونَ، فَيَقُولُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:



أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَعْتَذِرُ، ثُمَّ نُوحًا فَيَعْتَذِرُ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَىٰ، ثُمَّ عِيسَىٰ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَقُولُ: «نَفْسِي، نَفْسِي». حَتَّىٰ يَأْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا».

فَيَنْطَلِقُ ﷺ إِلَىٰ تَحْتِ الْعَرْشِ فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَامِدِ مَا لَمْ يُفْتَحْ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلَهُ، فَيَقَالُ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَىٰ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ»، فَيَشْفَعُ فِي الْخَلْقِ أَنْ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ، فَيُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ، وَيَبْدَأُ الْفُضْلَ بَيْنَ الْعِبَادِ. وَذَلِكَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَغْبِطُهُ عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ وَعْدُ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ بِالرَّفْعَةِ وَالْفُضْلِ وَالتَّمْكِينِ.

وَلَهُ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَىٰ أَنْوَاعٌ مِنَ الشَّفَاعَاتِ الثَّابِتَةِ فِي النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ:

◆ مِنْهَا شَفَاعَتُهُ فِي أَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ.

◆ وَشَفَاعَتُهُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ فِي الْجَنَّةِ.

◆ **وَشَفَاعَتُهُ فِي أَقْوَامٍ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَكُلُّهَا تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِضَاهُ.**

**قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، وَقَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾.**

وَهُنَا يَتَجَلَّى مَعْنَى عَظِيمٍ فِي الْإِيمَانِ وَالْفِقْهِ، وَهُوَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تُنَالُ بِالْأَمَانِيِّ وَالْإِدْعَاءِ، بَلْ تُنَالُ بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَالطَّاعَةِ الْمُتَّبِعَةِ لِلسُّنَّةِ. فَالشَّفَاعَةُ لَا تَنْقُضُ الْعَدْلَ، بَلْ تَتَمَّمُهُ، وَلَا تُبْطِلُ الْحِكْمَةَ، بَلْ تُظْهِرُ سَعَةَ الرَّحْمَةِ وَكَمَالَ الْعَدْلِ، فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا يَشْفَعُ فِيهِ إِلَّا مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ.

وَقَدْ أَنْكَرَتِ الْمُعْتَزِلَةُ بَعْضَ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ وَقَالُوا: كَيْفَ يُعَذَّبُ قَوْمٌ ثُمَّ يُخْرَجُونَ بِالشَّفَاعَةِ؟ وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ أَنَّ الشَّفَاعَةَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ، لَا تُنَاقِضُ الْعَدْلَ، بَلْ تُؤَكِّدُهُ، إِذْ هِيَ لَا تَكُونُ فِي حَقِّ الْكَافِرِينَ، بَلْ فِي الْمُؤَحِّدِينَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا وَقَصَّروا، فَيُخْرِجُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ مِنَ الْعَذَابِ إِلَى النِّجَاةِ، وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِ الْعَدْلِ وَسِعَةِ الرَّحْمَةِ.

**وَيَتَجَلَّى فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْمَهِيبِ كَمَالَ رِفْعَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ، إِذْ يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهِ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَتَسَّجُّهُ الْأَبْصَارُ إِلَيْهِ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ وَالْفَرَعِ، فَيُكْرِمُهُ**

رَبُّهُ بِمَقَامِ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى، وَيُظْهِرُ لِلخَلْقِ جَمِيعًا سَعَةَ رَحْمَتِهِ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ. وَيَتَجَسَّدُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ قَوْلُهُ ﷺ: «أُمَّتِي، أُمَّتِي»، فَيُقْبَلُ دُعَاؤُهُ، وَتُسْتَجَابُ شَفَاعَتُهُ، وَتَتَجَلَّى رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَلَأَتْ الْقُلُوبَ وَالْعَالَمِينَ.

إِنَّ مَعْرِفَةَ الْمُؤْمِنِ بِهَذَا الْمَقَامِ الْجَلِيلِ تُورِثُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةً خَالِصَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَتَرْيِدُهُ تَعْظِيمًا وَاتِّبَاعًا، فَمَنْ رَجَا شَفَاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلْيُكَبِّرْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَلْيَتَّبِعْ سُنَّتَهُ، وَلْيُحْيِ سِيرَتَهُ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمُجْتَمَعِهِ. فَالشَّفَاعَةُ ثَمَرَةُ الْحُبِّ وَالطَّاعَةِ، وَلَيْسَتْ أَمَانِي تَرُدُّدًا عَلَى الْأَلْسِنَةِ.

وَلَقَدْ قَالَ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). فَالسَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَنْ تَصْدُقَ فِي التَّوْحِيدِ، وَتُخْلِصَ فِي الْمَحَبَّةِ، وَتَثْبُتَ عَلَى سُنَّتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، فَمَنْ عَاشَ عَلَى مَحَبَّتِهِ نَادَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا لَهَا».

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ، وَارزُقْنَا حُبَّهُ وَاتِّبَاعَهُ، وَاحْشُرْنَا تَحْتَ لَوَائِهِ، وَسُقْنَا إِلَى حَوْضِهِ الْمَوْرُودِ، وَاسْقِنَا مِنْ يَدِهِ الشَّرِيفَةِ شَرْبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَدْخِلْنَا فِي زُمْرَتِهِ وَمَعَ أَحِبَّتِهِ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## الصِّرَاطُ وَالْمُرُورُ عَلَيْهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فَسَوَّاهُ، وَهَدَاهُ النَّجْدَيْنِ، وَبَيَّنَّ لَهُ طَرِيقَ  
السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُبَصِّرُ عِبَادَهُ سُبُلَ  
الْهُدَى وَالنُّورِ، وَيُنذِرُهُمْ طُرُقَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ، الَّذِي بَيَّنَّ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، وَدَلَّهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ  
وَالرِّضْوَانِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ سَبِيلَهُمْ  
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

مِنَ أَعْظَمِ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَرْهَبِهَا مَنْظَرًا وَأَبْلَغِهَا أَثْرًا: مَشْهَدُ الصِّرَاطِ  
الَّذِي يُضْرَبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَغْبِرُهُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، فَمِنْهُمْ  
النَّاجِي الْمُسْرِعُ، وَمِنْهُمْ الْمَخْدُوشُ الْمُتَعَثِّرُ، وَمِنْهُمْ السَّاقِطُ فِي النَّارِ، وَالْعِيَاذُ  
بِاللَّهِ. فَهُوَ جِسْرٌ نَصَبَهُ اللَّهُ فَوْقَ جَهَنَّمَ، أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ، كَمَا  
وَصَفَتْهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ، وَيَمُرُّ عَلَيْهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ بَعْدَ الْفَصْلِ وَالْحِسَابِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا \* ثُمَّ  
نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا﴾، فَاجْمَعِ الْمَفْسُرُونَ عَلَى أَنَّ الْوُرُودَ  
هُوَ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ.

كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

“مَنْ نَجَا مَرَّ سَالِمًا، وَمَنْ سَقَطَ كَانَ إِلَى النَّارِ”.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرَّسُلُ، وَكَلَامُهُمْ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَعَلَى جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلِ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظْمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازِيُّ حَتَّى يَنْجُو».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «فَيَمُرُّ أَوْلُكُمْ كَالْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرَّيْحِ، ثُمَّ كَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، ثُمَّ كَالرَّجُلِ يَجْرِي، ثُمَّ يَمْشِي، ثُمَّ يَرْحَفُ زَحْفًا، وَعَلَى حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَ بِأَخْذِهِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي جَهَنَّمَ».

فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانٌ أَنَّ النَّاسَ يَعْبُرُونَ الصَّرَاطَ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ، فَالْأَوَّلُونَ كَالْبَرْقِ لِسُرْعَةِ نُورِهِمْ، وَالْبَعْضُ كَالرَّيْحِ فِي سُرْعَتِهَا، وَالْبَعْضُ كَالرَّكَابِ أَوِ الْمَاشِي، وَالْبَعْضُ يَرْحَفُ عَلَى بَطْنِهِ، فَيَنْجُو مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَيَهْلِكُ مَنْ غَلَبَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ.

وَتَجَلَّى فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي يُنَادِي بِهَا الْإِيمَانُ: أَنَّ النِّجَاةَ  
يَوْمَئِذٍ لَا تُكْتَبُ بِالْأَنْسَابِ وَلَا بِالْأَمَانِيِّ، وَلَكِنْ بِصِدْقِ الْإِيمَانِ وَنَقَاءِ الْعَمَلِ.  
فَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ نُصِبَ لَهُ عَلَى جَهَنَّمَ صِرَاطٌ يُبَيِّنُهُ اللَّهُ  
عَلَيْهِ، وَمَنْ زَاغَ عَنِ طَرِيقِ الْهُدَى تَعَثَّرَ فِيهِ وَسَقَطَ.

إِنَّهُ مَشْهَدٌ يَهْزُ الْقُلُوبَ وَيُقِظُ الْأَفْيِدَةَ، حِينَ يَتَذَكَّرُ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ سَيَقِفُ عَلَى  
جِسْرِ مَمْدُودٍ فَوْقَ النَّارِ، تَحْتَهُ اللَّطْفُ، وَفَوْقَهُ الظُّلْمَةُ وَالْخَطَرُ، وَلَا يُنْقِذُهُ مِنْ ذَلِكَ  
بَعْدَ اللَّهِ إِلَّا نُورٌ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِإِيمَانِهِ، وَهُوَ نُورُ الْإِيمَانِ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قَلْبِهِ  
فِي الدُّنْيَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

وَلِهَؤُلِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ أَنْفُسَهُمْ يَقُولُونَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ  
سَلِّمْ»، فَكَيْفَ بغيرِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَعِبَادِ اللَّهِ؟ كَيْفَ بِمَنْ أَثْقَلَتْهُ الذُّنُوبُ وَقَلَّتْ  
فِي صَحِيفَتِهِ الْحَسَنَاتُ؟ إِنَّ التَّفَكُّرَ فِي الصِّرَاطِ يُورِثُ فِي الْقَلْبِ خَشْيَةً  
وَتَوَاضَعًا، وَيَغْرِسُ فِيهِ عَزِيمَةَ الثَّبَاتِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، لِيُبَيِّنَهُ اللَّهُ عَلَى  
ذَلِكَ الْجِسْرِ فِي الْآخِرَةِ.



فِيَا فَوْزَ مَنْ عَبَّرَ الصِّرَاطَ فِي أَمَانٍ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَيَا حَسْرَةَ مَنْ تَعَثَّرَ  
وَسَقَطَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِسُوءِ أَعْمَالِهِ. إِنَّهَا لِحِظَةٌ فَارِقَةٌ بَيْنَ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَبَيْنَ نَجَاةٍ  
وَهَلَاكٍ، فَطُوبَى لِمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ فِي الدُّنْيَا فَثَبَّتَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ النَّاجِينَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَثَبِّتْ أقدامَنَا يَوْمَ تَزُلُّ الأقدامُ،  
وَانقُلْنَا بِنُورِ الإِيمَانِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَاحْفَظْنَا مِنَ الزَّلَلِ وَالسُّقُوطِ، وَاجْعَلْ  
آخِرَ كَلَامِنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاخْتِمْنَا بِالسَّعَادَةِ وَالرِّضْوَانِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



## الحَوْضُ وَالكَوْثَرُ

الحمدُ لله الذي أكرم نبيّه محمدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بجلال المننِ،  
وخصّه بما لم يُعطِ نبيًّا قبله من العطايا والعِظاياتِ والحِكمِ، فشرّفه بالرّسالةِ  
الخاتمة، ورفع له الذّكر، وأجرى على يديه من البشاراتِ ما يُثبت القلوبَ  
ويُقوي الإيمان.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، الملكُ الديانُ، وأشهدُ أن  
محمدًا عبده ورسوله، سيّدُ ولدِ عدنان، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه  
والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ يُبعثون.

إنّ من مشاهدِ يومِ القيامةِ العظامِ التي تهتّزُّ لها القلوبُ خشيةً ورجاءً،  
وتشتاقُ إليها الأرواحُ شوقًا إلى الأمنِ واللقاءِ والرضوانِ، مشهدُ الحَوْضِ  
المورود الذي اختصَّ اللهُ به نبيّه محمدًا ﷺ، فجعله علامةَ الكرامةِ لأُمَّته،  
ومفصلَ التمييزِ بين الصادقينَ والمبدلينَ، وموطنَ الشربِ الذي لا ظمأَ بعده  
أبدًا، وحتى نحقق المقصود من هذا المجلس نستعرض بعض المسائل  
لتقريب العلم وتحقيق الغاية.



## أولاً: الحَوْضُ في عقيدة أهلِ السُّنَّةِ والجماعة

الحَوْضُ ثابتٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ أهلِ الحقِّ، حتَّى عدَّهُ العلماءُ من أصولِ الاعتقاد التي يُؤمنُ بها المسلمُ كما يُؤمنُ بالجنةِ والنارِ والميزانِ والصراطِ.

قال تعالى في أعظمِ بشارَةِ لنبِيِّه:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]

قال جمهورُ المفسِّرين: الكوثرُ نهرٌ في الجنةِ أُعطيهِ النبيُّ ﷺ، ومنهُ يُمدُّ حوضُه يومَ القيامةِ.

وفي الصحيحين عن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال: بينما نحنُ عند النبيِّ ﷺ إذ أغفى إغفاءً، ثمَّ رفعَ رأسَه مبتسماً فقال: «أنزلت عليَّ آناً سورةً»، فقرأ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ثمَّ قال: «أتدرون ما الكوثرُ؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «فإنه نهرٌ وعدنيه ربِّي عزَّ وجلَّ، عليه خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ تردُّ عليه أمّتي يومَ القيامةِ، أنيته عددُ النجومِ» (رواه مسلم).

فهو كوثرٌ في الجنةِ، وحوضٌ في أرضِ المحشرِ، ماؤه من ذلك النهرِ المبارك، تردّه أمةُ النبيِّ ﷺ قبيلَ دخولهم الجنةِ، فيرتوون منه فلا يظمؤون أبداً.

ثانياً: أوصافُ الحَوْضِ النَّبَوِيِّ

وردت أوصافُ الحوض في أحاديث كثيرةٍ صحيحةٍ تزيدُ المؤمنَ شوقاً وتلهُّفاً.

قال **رسول الله ﷺ** كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً».

وفي روايةٍ أخرى قال **رسول الله ﷺ**:

«يُرْدُ عليّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثم يُحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي! أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (متفق عليه).

فأيُّ مشهدٍ أعظم من هذا؟! نبيِّك الكريم ﷺ واقفٌ على حوضه ينتظرُ أمته، يعرفُ وجوههم من أثرِ الوضوء، ويستقبلهم بيديه الشريفتين ليسقيهم شربةً لا ظمأَ بعدها أبداً، فإذا ببعضِ الوجوه تُصرفُ عن الحوض، فيقال: هؤلاء غيِّروا بعدك، فحرموا من أعظمِ كرامةٍ وأشرفِ مورد!

### ثالثاً: بين الورد والطرد:

الحوضُ موردُ أمانٍ للمؤمنين المخلصين، وموردُ خزيٍ للمنافقين والمبدلين، يُطردون عنه كما يُطردُ البعيرُ الغريبُ عن الماء، فتقعُ الفضيحةُ الكبرى بين الخلائق، ويُحرمون من نيلِ الشرفِ الأعظم.

وشتانَ بين من يُكرمُ بالشربِ من يدِ النبيِّ ﷺ شربةً لا يظمأَ بعدها أبداً، وبين من يُهانُ بالطردِ والإبعادِ فلا يجدُ غيرَ الحسرةِ والندم.

وهنا يظهرُ صدقُ اتباعِ وبطلانُ الادِّعاء، وتتميزُ السنَّةُ من البدعة، والإخلاصُ من الرياء، فالمخلصون الثابتون على منهاجِهِ ﷺ هم أهلُ الوردِ والكرامة، والمبدلون المنحرفون هم أهلُ الطردِ والخسران.

رابعًا: مشهدٌ يوقظُ القلوب

تأمل أن تقفَ يومئذٍ في ذلك الجمع العظيم، وقد نادى المنادي: أين أمة

محمد؟

فإذا بك ترى الحوض يتلأل بياضًا، والنبى ﷺ واقفًا عليه بوجهٍ أزهَرَ  
كالقمر ليلة البدر، يناديك باسمك ليُسقيك بيده الشريفة، فتشربُ شربةً لا ظمًا  
بعدها أبدًا.

فيا لها من كرامةٍ ما بعدها كرامة! ويا لخسارةٍ من يُحالُ بينه وبينها!

إنَّ من تدبَّر هذا المشهد رقق قلبه، واستحيا أن يُحجبَ عن نبيه، فكان  
حرِيًّا به أن يثبتَ على السنَّة، ويصبرَ على الطاعة، ويتجنبَ أسبابَ الطردِ  
والإبعاد، من الإحداثِ في الدين، أو تركِ الهدى النبويِّ، أو التهاونِ في حقِّ الله  
ورسوله.



## ختامًا

الحوض والكوثر مشهدان من مشاهد الفضل الإلهي للنبي ﷺ ولأمته،  
يُظهران منزلة الاتباع وصدق الولاء، ويُغذيان في القلب رجاء اللقاء وشوق  
الإكرام.

فطوبى لمن ثبتته الله على الحق حتى يرد الحوض مع نبيه، ويشرب من  
يده الشريفة شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

اللهم اجعلنا من الواردين، ولا تجعلنا من المطرودين، واسقنا من  
حوض نبيك شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا، واجمعنا به في دار كرامتك، في  
جنات الفردوس الأعلى، إنك ولي ذلك والقادر عليه.



## الميزان: يوم توزن الأعمال بالعدل والإحسان

الحمدُ لله العَدْلِ الحَكِيمِ، الَّذِي قَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ عَلَى عَدْلِهِ،  
وَاسْتَقَامَتِ المَخْلُوقَاتُ بِأَمْرِهِ، لَا يَظْلَمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً  
إِلَّا أَحْصَاهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحْكَمَ الحُكَمَاءِ، وَأَعْدَلَ  
القَضَاةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَمُبَشِّرًا  
وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ  
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

من المواقفِ المهيبةِ في يومِ القيامةِ مشهدُ الميزان؛ ذلك الموقفُ الذي  
تتجلى فيه عدالةُ اللهِ المطلقة، حيث تُوزنُ الأعمالُ وزنًا حقيقيًّا، ويظهرُ فضلُ  
اللهِ لعباده، ويتميِّزُ أهلُ الصدقِ من أهلِ الخداعِ، والمُتَّقونَ من الغافلين.

إنَّه اليومُ الذي تُكشَفُ فيه الحقائقُ كُلِّها، وتُعْرَضُ الأعمالُ بلا غطاءٍ ولا  
مجاملة، وتُوضَعُ الحسناتُ والسيئاتُ في كفتين، ليعلمَ العبدُ أَنَّهُ ما ظلمه اللهُ

شيئاً، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وهنا عدة مسائل لتقريب العلم وتحقيق  
مسائله:

أولاً: إثبات الميزان في الكتاب والسنة

أجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالميزان يوم القيامة، وأنه  
ميزانٌ حقيقيٌّ له كفتانٍ ولسانٌ، تُوزنُ به الأعمالُ والصحفُ بل والعبادُ أنفسهم  
كما جاءت بذلك النصوصُ الصحيحة.

قال تعالى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وقال جلّ شأنه:

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ  
فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:

«يُوضَعُ المِيزَانُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فلو وُزِنَتْ فِيه السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ لوسِعَتْ، فتقولُ الملائكة: يا ربِّ، لِمَنْ يَزُنُ هَذَا؟ فيقولُ اللهُ: لِمَنْ شئتُ من خلقي» (رواه ابن حبان وصححه الألباني).

وفي حديثِ البطاقة المشهور قال ﷺ:

«تُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وتُوضَعُ البطاقةُ فِيهَا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فترجَحُ البطاقةُ، ولا يثقلُ مع اسمِ اللهُ شيءٌ» (رواه الترمذي).

فهذه النصوصُ تدلُّ دلالةً قاطعةً على أن المِيزَانَ حقٌّ ثابتٌ، وأن العدلَ الإلهيَّ فِي ذلك اليومِ لا يُماثلُه عدلٌ على الإطلاق.

ثانياً: حقيقةُ الوزنِ ومفهومُ العدالة

يقرر ابنُ تيمية رحمه الله:

المِيزَانُ له حقيقةٌ يُوزَنُ بها عملُ العبدِ وزناً حقيقياً كما يُوزَنُ الذهبُ والفضةُ، واللهُ أعلمُ بكيفيته، لكننا نؤمنُ بحقيقته كما أخبرنا اللهُ ورسولُه.

العدلُ الإلهيُّ يومئذٍ يُظهرُ فضلَ الله في عباده، فيثقلُ ميزانُ الصادقِ وإن قلَّ عمله، ويخفُّ ميزانُ المنافقِ وإن كثرت عبادتُه، لأنَّ الله يزنُ الأعمالَ بصدقها وإخلاصها لا بصورتها ومظاهرها. كما ذكر ابن القيم -رحمه الله-.

ولذلك قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم:

«إنَّه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامةِ لا يزنُ عندَ الله جناحَ

بعوضة»

فالوزنُ إذاً ليس بالهيئة ولا بالعدد، بل بالصدق والإخلاص والموافقة للشرع.

ثالثاً: تصويرُ المشهد

تخيل - رحمك الله - ذلك اليومَ العظيم، وقد انتهى الناسُ من الحساب، ثم نُصبت الموازينُ، فتتفاضرُ القلوبُ من أماكنها خشيةً ووجلاً، ويؤتى بالعبدٍ يحملُ عملَ عمره، فيوضَعُ في إحدى الكفتين، وتوضَعُ سيئاته في الأخرى، والملائكةُ مشفقةٌ والأنبياءُ داعيةٌ، والعبدُ بين رجاءٍ وخوفٍ، لا يدري أيَّ الكفتين سترجح.



تتطائر الصحفُ، وتظهرُ الخفايا، وكم من عملٍ ظنَّه العبدُ عظيمًا فإذا هو هباء، وكم من عملٍ صغيرٍ خفيٍّ أثقله الإخلاصُ فصار سببَ النجاة! وهناك تُشرقُ وجوهُ بنورِ الرضا، وتُسوّدُ وجوهُ بالحسرةِ والخذلان.

### رابعًا: الدروسُ التربويّةُ والإيمانيّةُ

١. الإيمانُ بالميزانِ يورثُ المراقبةَ لله، فمن علم أن أعماله ستُوزن، راقبَ نفسه في السرِّ والعلن.
٢. الإخلاصُ هو سرُّ الثقل؛ فالعملُ لا يُقبلُ ولا يُثقلُ إلا إذا كان لله خالصًا وعلى سنةِ رسوله ﷺ.
٣. صغائرُ الخيرِ قد تُرجحُ الميزان؛ فالكلمةُ الطيبةُ، والنيةُ الصالحةُ، والرحمةُ بالناسِ، قد تكون سببًا في الفلاح.
٤. الظلمُ يُثقلُ الكفّةَ الأخرى؛ فحقوقُ العبادِ لا تسقطُ بالاعتذار، بل تُقتصَّ يومَ توضعُ المظالمُ في الموازين.
٥. الميزانُ دعوةٌ للعدلِ في الدنيا؛ فمن آمن بعدلِ الله يوم القيامة، وجبَ عليه أن يكونَ عادلًا في قوله وحكمه ومعاملاته.



## خاتمة:

سَيُقَامُ المِيزَانُ أَمَامَ الخَلَائِقِ كُلِّهَا، وَسَتُوزَنُ أَعْمَالُنَا بِلا زِيَادَةٍ وَلا نَقْصَانٍ، وَلا يَنْفَعُ هُنَاكَ نَسَبٌ وَلا جَاهٌ، بَلْ مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ.

فِيَا مَنْ تَرَجُّو النِّجَاةَ يَوْمَ تَوْضَعُ المَوَازِينُ، أَخْلِصْ نِيَّتَكَ، وَصَفِّ قَلْبَكَ، وَوزن أفعالِكَ قبل أن تُوزنَ عَلَيْكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَوَازِينَنَا ثَقِيلَةً بِالْحَسَنَاتِ، وَخَفِيفَةً مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَارزُقْنَا مِنْ رَحْمَتِكَ مَا يَجْبِرُ نَقْصَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا زَلَّاتِنَا، وَبَلِّغْنَا شَرْبَةً مِنْ يَدِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا، وَاجْعَلْنَا مِنَ المَفْلُحِينَ إِذَا نُشِرَتِ الدَّوَاوِينُ وَنُصِبَتِ المَوَازِينُ.



## الدار الباقية... بداية الجزاء ونهاية الابتلاء

**الحمدُ لله الحكيم العدلِ**، الذي خلقَ الخلقَ للابتلاء، وجعلَ مآلهم إلى دارٍ يجزي فيها المُحسن بإحسانه، والمسيءَ بعدله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعدَّ المتقينَ جنَّةَ عرضها السماواتُ والأرضُ، وأعدَّ للكافرينَ نارًا تُلظَّى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وجاهدَ في الله حقَّ جهاده، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

**تبدأ رحلة الخلود بعد أن يطوى عمر الدنيا ويُنفخ في الصور**، فينتقل الإنسان من دار الفناء إلى دار البقاء، حيث تستقرُّ الأرواح في مصيرها الذي لا تبديل له. هناك تُطوى صفحات العمل، وتُفتح أبواب الجزاء. عندها فقط يدرك الإنسان أن الله ما خلق الحياة عبثًا، ولا ترك الخلق سُدىً، بل هي دار امتحانٍ يُوزَن فيها الإيمان باليقين، ويُقاس فيها الصدق بالصبر، ليتهيأ الإنسان لدار الجزاء التي لا تعبَ فيها ولا نقص.



لقد قرّر أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأن الله أعدّهما منذ الأزل دارين ثابتتين لا تفنيان ولا تبيدان. فالجنة دار النعيم الأبدي للمؤمنين، والنار دار العدل والعقوبة للكافرين.

قال الله تعالى: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال سبحانه في المقابل: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وصيغة الإعداد تدلّ على الوجود الفعلي، لا على الوعد المستقبلي. فكلتاهما مخلوقتان باقيتان، كما أخبر النبي ﷺ بأن: «الجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان».

وليس الإيمان بخلود الجنة والنار مسألة فرعية كما يظن بعض الناس، بل هو من أصول الاعتقاد في اليوم الآخر، لأنه يقرّر أن الحياة الآخرة دار جزاء مطلق لا رجوع بعدها إلى دار العمل.

وقد خالف في ذلك بعض الفرق، كالجهمية والمعتزلة، فزعموا أن الجنة والنار تفنيان بعد حينٍ أو أنهما لم تُخلقا بعد، فردّ عليهم العلماء بأن هذا القول يتضمن نفي صفة الخلود التي نصّ عليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وقوله سبحانه: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾ أي غير مقطوع ولا منته.



إن الإيمان بخلود الدارين مبنيٌّ على كمال صفات الله تعالى؛ فالله الذي كتب البقاء لنفسه، كتب البقاء لما شاء من مخلوقاته. ولو جاز على الجنة والنار الفناء، لجاز على الوعد والوعيد الزوال، ولتعطل معنى العدل الإلهي والجزاء الأبدي، وهذا باطلٌ لا يليق بكمال الله وحكمته.

أما الجنة فهي دار الكرامة والفضل، فيها يجتمع كمال النعيم الظاهر والباطن: نعيم الجسد بالأكل والشراب والراحة والخلود، ونعيم الروح بالقرب من الله والرضوان والنظر إلى وجهه الكريم.

وهي دارٌ أعدت لأهل الإيمان الذين صبروا في الدنيا على الطاعة، وتركوا الشهوة لأجل وعدٍ لا ينقطع. وأما النار فهي دار العدل والجزاء، فيها يُعذَّب الكافر بقدر كفره، والمنافق بقدر نفاقه، والعاصي من المؤمنين بقدر ذنبه حتى يطهر من خطاياها، ثم يخرجها الله برحمته وشفاعة نبيه ﷺ، فتبقى النار بعد ذلك دارَ خلودٍ للكافرين وحدهم، كما ورد في النصوص الصحيحة.

**ومن تأمل في خلق الجنة والنار، علم أن الله أراد أن يربي الإنسان على رؤية المآل قبل الوقوع، فالجنة والنار موجودتان الآن، تُرى آثارهما في الوحي، وتنعكس صورتها في السلوك. فإذا قوي الإيمان بهما انكف القلب عن الدنيا وشهواتها، واستقام السلوك على منهج الله رجاءً في الفوز، وخوفاً من الخسران.**



وفي هذا الإيمان معنى تربوي عميق، وهو الارتباط بين التصور العقدي للمآل وبين السلوك العملي في الحياة. فحين يوقن المرء أن أمامه دارًا باقية، تزهّد نفسه في الزائل، ويصبح ميزانه في كل فعل: "هل يقربني هذا إلى الجنة أم يبعدي عنها؟".

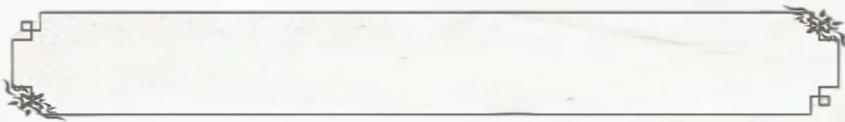
**لذلك** "من عرف الجنة اشتاق إليها، ومن عرف النار خاف منها، ومن خاف منها ترك المعاصي".

إن الإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان ليس معلومة نظرية، بل هو محرك سلوكي يبني الوعي الإيماني ويقوم الانحراف الأخلاقي. فالمؤمن الذي يرى الجنة بعين اليقين يعيش بعقل أخروي، يزن اللذة بثمنها، وقيس الخطوة بعاقبتها، لأنه يدرك أن ما يُزرع هنا يُحصد هناك. ومن هنا كانت الجنة نهاية الابتلاء، والنار خاتمة الغفلة، وبينهما يقوم ميزان العدالة الإلهية التي لا تميل ولا تظلم.

ولذلك كانت هذه الدار الباقية — الجنة والنار — هي آخر ما يتقرّر به مصير الإنسان. فيها يُعطى المؤمن وعد الله حقًا، فيقال له: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، ويُقال للكافر: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾. هناك لا ظلم ولا هوى، وإنما عدل الله الذي لا يُضاهى.

فالدار الباقية ليست نهاية الحكاية، بل بدايتها الحقيقية. عندها تنكشف المعاني وتستقيم الموازين، ويُدرك العبد أن كل تعبٍ في سبيل الله كان جسراً إلى الخلود، وأن كل لحظةٍ صدقٍ كانت لبنةً في بناء الجنة. فمن أراد تلك الدار فليعمل لها، وليستحضر في قلبه أنها حاضرة الآن، تنتظر من يزرع لها عملاً، ويُعدّها قلباً صادقاً، ونيةً لا تلتفت إلى غير الله.

اللهم إننا نسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.



## الجنة في معتقد أهل السنة والجماعة

الحمد لله الذي جعل الجنة مأوى أوليائه، وكتب فيها الخلود لأهل طاعته ورضوانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغني عن خلقه، الكريم في وعده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وبشراً لعباده المتقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

في رحلة الإيمان باليوم الآخر، تأتي الجنة مآل المؤمنين وتمام وعد الله الصادق لهم، ومظهر الكمال في عدل الله وفضله، ونهاية السير الطويل الذي بدأ من دار التكليف لينتهي بدار الجزاء. فهي ليست مجرد مكان يجتمع فيه النعيم، بل هي تجسيد لرضوان الله على عباده، ومقام الكرامة الذي تجتمع فيه لذات الروح والجسد، وطمأنينة القلب وسكون النفس.

فإن مما يعتقدُه أهل السنَّة والجماعة أن الجنة دارٌ أعدّها اللهُ تعالى نعيمًا لعباده المؤمنين، وهي مخلوقةٌ موجودةٌ الآن، لا تفتنى ولا تبيد. واستدلّ بما ورد في النصوص القطعية من قوله تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «رأيتُ الجنة والنار، فلم أرَ كالיום في الخير والشر». فوجود الجنة الآن حقيقة إيمانية ثابتة، لا يتطرق إليها الشك.

وللجنة في النصوص القرآنية صورٌ مبهرةٌ تُحدث عن سعتها وعظيم ما فيها من النعيم:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وقال سبحانه: ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾، وقال جلّ وعلا: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

فهي دارٌ خالدةٌ دائمةٌ، ليس فيها نصبٌ ولا لغو، ولا لغوبٌ ولا لغوٌ ولا كدر، بل صفاءٌ مطلقٌ لا تعكره لحظة حزنٍ ولا همٌّ ولا وجع.



يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»، وهي عبارة تجمع كمال النعيم الجسدي والروحي، وتدل على أن الحياة في الجنة حياة دائمة متجددة لا تعرف التغير ولا الفناء.

### وقد توسعت النصوص في بيان ألوان النعيم فيها:

فيها الأنهارُ من ماءٍ غير آسن، ومن لبنٍ لم يتغيّر طعمه، ومن خميرٍ لذة للشاربين، ومن عسلٍ مصفى. وفيها القصور من ذهبٍ وفضةٍ ولؤلؤٍ، وغرفٌ تُرى ظواهرها من بواطنها لبنائها على الصفاء، وفيها الأشجار التي يسير الراكب في ظلها مئة عامٍ لا يقطعها، والثمار التي تُدنى إلى من يشتهيها دون عناء.

لكن كلّ هذا — على عظمته — لا يعدل عند المؤمنين أعظم نعيمها: رؤية وجه الله الكريم، كما قال سبحانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. وهي اللحظة التي يبلغ فيها أهل الجنة ذروة السعادة، فيزول كل أثرٍ من آثار الدنيا، وينغمرون في نور القرب من الله ورضاه.



قال النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: وكيف لا نرضى وقد بيّضت وجوهنا وأدخلتنا الجنة ونجّيتنا من النار؟ فيقول الله: أحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

وهنا تتجلّى الحكم العقائدية بأن الجنة ليست ثمرة عملٍ فحسب، بل هي أوّلاً وأخيراً فضلٌ من الله وكرامةٌ لعباده. فمهما عمل الإنسان فلن يبلغ الجنة بعمله المجرد، كما قال النبي ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته». فالأعمال سبب، والرحمة فضل، والنتيجة وعدٌ من الكريم الذي لا يُخلف الميعاد.

إنّ رؤية الجنة بعين الإيمان تُحدث في النفس توازناً بين العمل والطمأنينة، فالمؤمن يعمل لا بدافع الخوف وحده، بل بشوقٍ إلى السلام الذي وعد الله به عباده: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وجنة الخلد ليست جزاءً على الكثرة في الطاعات فحسب، بل على صدق الاتجاه إلى الله. فقد يدخل رجل الجنة بكلمة صادقةٍ قالها في موطن إخلاص، كما يدخلها آخر برحمة ضعيف، أو بكفٍّ لأذى، أو بدعوةٍ خالصةٍ



لا يراها أحد. فهي دار الإخلاص قبل أن تكون دار الأعمال، ودار الرحمة قبل أن تكون دار المكافأة.

إِنَّ أَعْظَمَ مَا يُصْلِحُ الْقَلْبَ أَنْ يَعِيشَ عَلَىٰ يَقِينٍ بِأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَتْ حَلْمًا بَعِيدًا، بَلْ وَعَدًا وَاقِعًا يَنْتَظِرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا يَبْدَأُ مِنْ لَحْظَةِ الصَّدَقِ الْأُولَىٰ مَعَ اللَّهِ. هناك، في دار السلام، يلتقي الإيمان بالجزاء، وتُرفع الأَكْفُ شَاكِرَةً، وتزول العلل والذنوب، وتبقى الكلمة الخالدة التي تُقال لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَثَبِّتْنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ حَتَّىٰ نَلْقَاكَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.



## النار في معتقد أهل السنة والجماعة

**الحمدُ لله العليمِ الحكيمِ،** الذي لا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ، ولا يَغيبُ عن علمِهِ خافية، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، له الحكمُ وإليه المرجعُ والمآبُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، بلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ، وأنذَرَ الناسَ من يومٍ تشخَّصُ فيه الأبصارُ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

في مقابل جنة الخلد التي هي مظهر فضل الله ورحمته، تقوم النار مظهر عدل الله وحكمته، فهي دارُ الجزاء لمن كفرَ بنعمه، وجحدَ آياته، واستكبر عن عبادته، وأصرَّ على معصيته. ليست النار ضربًا من الرمزية، ولا وعيدًا تربويًا يُراد به الترهيب فحسب، بل هي حقيقةٌ غيبيةٌ ثابتة، مخلوقةٌ موجودةٌ الآن، كما قرره أئمة أهل السنة والجماعة.

قال الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، وصيغة الإعداد في اللغة دليلُ الإنشاء والتحقق، لا الوعد والاحتمال.

**وعلى هذا فالإيمان بالنار أصلٌ من أصول الإيمان باليوم الآخر، لأنه** مظهرٌ من مظاهر عدل الله تعالى، إذ تقتضي الحكمة الإلهية أن لا يستوي من أنكر وكفر، مع من أطاع وشكر. ومن هنا كانت النار دارًا قائمةً إلى الأبد، لا تفنى ولا تبيد، عدلاً منه وحكمةً لا اعتراض عليها.

قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾، وقال عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

فالنار إذاً دار بقاءٍ للكافرين وعدلٍ للمجرمين، لا يهلكهم الله فيموتوا، ولا يخفف عنهم العذاب فيرتاحوا، بل يعيشون فيها دائماً وعذاباً مقيماً.

أما المؤمنون العصاة، فإنهم إن دخلوا النار بذنوبهم، فإنهم لا يخلدون فيها، بل يطهرون من خطاياهم، ثم يُخرجهم الله برحمته وشفاعة نبيه ﷺ، كما دلّت عليه النصوص القطعية. وهذا من عدل الله ورحمته، إذ لم يجعل النار داراً خالدة إلا لمن مات على الكفر والعناد.

وقد فصل العلماء في أصناف أهل النار وأسباب دخولها، فذكروا أن أعظمها الكفر بالله، ثم النفاق الذي يُبطن الكفر ويظهر الإيمان، ثم الظلم والبغي والعدوان على الخلق، ثم الإعراض عن ذكر الله والانغماس في

الشهوات. وكلّما زاد الكفر والعناد، اشتدّ العذاب وتنوّعت أنواعه، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيُذبح بين الجنة والنار، ثم يُقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت»، فيزداد أهل الجنة فرحاً، ويزداد أهل النار يأساً. وهنا يتحقق العدل الإلهي المطلق، الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، إذ يُعطى كل امرئ جزاءه الكامل على ما كسبت يده.

**ومن الناحية العقديّة، نرى أنّ الإيمان بالنار لا يعني التشاؤم أو اليأس، بل يعني الإيمان بصفة العدل في الله عز وجل، لأنّ من مقتضى عدله أن يُعاقب الظالم، ويُجزئ المحسن، وأن يُكشف الغطاء عن المجرم ولو بعد حين. فالنار ليست مظهر قسوة، بل مظهر عدالة، إذ من تمام الحكمة أن يُعذّب من أفسد في الأرض، وأضلّ الناس عن الحق، كما يُثاب من أحيا القلوب بالهدى.**

**وعلى هذا «فالنار دارٌ عدلٍ في حقّ من أصرّ على الجريمة، وهي في الوقت ذاته مظهرٌ رحمةٍ في تطهير المذنبين، لأنّ الله يُطهّرهم فيها من آثار الذنب ليُدخلهم دار الكرامة». فحتّى في العذاب يتجلّى العدل، بل الرحمة المضمّنة في القضاء، إذ لا يُعذّب أحدٌ بغير جرم، ولا يُضاعف عليه العقوبة إلا بما كسب.**



فالنار — في ضمير المؤمن — مفهومٌ إيمانيٌّ عميقٌ يحكم سلوكه في الدنيا: إن ظلمَ خاف، وإن فتنَ تاب، وإن غفلَ ذكر، وإن زلَّ رجع إلى الله خائفًا راجيًا رحمته.

وهذا المنهج القرآني يقرن دائماً بين الخوف من النار ورجاء الجنة، فقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، فلا يقوم إيمان المسلم على الرعب وحده ولا على الرجاء وحده، بل على توازنٍ يحفظ النفس من القنوط والغرور معاً. فالإيمان بالنار إذ ليس لتخويف القلوب فقط، بل لضبطها على جادة الطاعة.

إنَّ النار دار عدل الله، لكنها أيضاً النذير الباقي للغافلين، تذكّرهم بأن الطريق إلى الله ليس آمناً بلا توبة، وأن الغفلة عن الآخرة ليست ضعفاً في المعرفة فحسب، بل خطرٌ على المصير. فكما أن الجنة وعدٌ كريم، فالنار وعيدٌ عادل، وكلاهما يكمل الآخر في تحقيق التوازن الإيماني في نفس المؤمن.

وما أعظم أن يختم الله لعبده عاش بين الخوف والرجاء، فينجيه من النار، ويدخله الجنة برحمته، فيدرك حينها أن كل دمعة خشية، وكل استغفارٍ في جوف الليل، كانت وقايةً له من لهيبها، وأن الله ما خوّف عباده منها إلا ليقودهم إلى رحمته.



## الخوف والرجاء... وأثرهما في استقامة القلب

الحمدُ لله الذي جمع لعباده بين الوعدِ والوعيدِ، فقرنَ رحمته بعدله، وبسطَ آياتِ الترغيبِ كما بسطَ آياتِ الترهيبِ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، كتبَ على نفسه الرحمة، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

حين يتأمل المؤمن مشاهد اليوم الآخر: الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، يقف أمام خطابٍ إيمانيٍّ يقيني بديعٍ يحكم سيره في الحياة، هو يرسخ عبادة الخوف والرجاء. فمن غير هذا التوازن تميل النفس إلى الإفراط أو التفريط، بين يأسٍ قاتلٍ وغرورٍ مهلك. لذلك كانت العقيدة الإسلامية وسطًا بين من غلبَ جانب الرجاء حتى أمن مكر الله، ومن غلبَ الخوف حتى قنط من رحمته.

وعلى هذا فالإيمان الحق لا يكمل إلا بامتزاج الخوف بالرجاء، لأن الله تعالى وصف عباده الصالحين بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

فالخوف يردع عن المعصية، والرجاء يدفع إلى الطاعة، ومن فقد أحدهما اختلت موازين قلبه.

**ولهذا قال ابن القيم رحمه الله:**

«القلب في سيره إلى الله كالطائر، رأسه المحبة، وجناحاه الخوف والرجاء، فإذا قُطع الرأس مات، وإذا فُقد أحد الجناحين اختل سيره».

ففي عقيدة أهل السنة، الخوف والرجاء عبادتان قلبيتان متلازمتان، لا يجوز أن تفصل إحداهما عن الأخرى. فمن خاف الله بغير معرفة رحمته وقع في اليأس، ومن رجاه دون رهبة من عدله وقع في الأمن الكاذب. ولذا كان السلف يوصون بأن يُغلب العبد الخوف في حال الصحة والإقبال على الدنيا، ويغلب الرجاء عند حضور الموت، ليخرج من الدنيا حسن الظن بربه.

إنّ الخوف ليس شعورًا سلبيًا كما يتوهم البعض، بل هو وعي عميق بالمسؤولية أمام الله، يدفع إلى المراقبة والورع. وهو خوفٌ من التقصير في حقّ الكريم، لا من قسوته، خوفٌ نابعٌ من تعظيم الله، لا من اليأس منه. فالذي يخاف النار حقًا، لا يهرب من الله، بل يهرب إليه. والرجاء بدوره ليس أمانًا كسالي، بل هو عملٌ وثقةٌ برحمة الله، كما قال الحسن البصري: “ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل”.



ومن عظمة الإسلام أنه جعل الخوف والرجاء ميزاناً تربوياً يقوم سلوك الإنسان في كل مرحلة. فالخوف يصلح القلب إذا أصابه الغرور، والرجاء يحييه إذا لفه اليأس. ولذا نجد القرآن يجمع بينهما في كل موطنٍ من مواطن التزكية، قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

فالإيمان الحق لا يكتمل إلا حين يرى العبد هذين البابين مفتوحين معاً أمامه: باب المغفرة وباب العدل.



وقد أدرك السلف هذا السرّ العظيم، فكانوا يقولون: "لو قيل لأحدهم غداً القيامة، ما قدر أن يزيد في عمله شيئاً، لأنه يعيش كأنها قائمة في قلبه كل لحظة." فهم بين الخوف والرجاء، في ظاهرهما تناقض، وفي باطنهما انسجام؛ إذ لا يكون الرجاء صادقاً إلا إذا كان الخوف حاضراً، ولا يكون الخوف نافعاً إلا إذا أثار الرجاء طريقه.

والتربية الإيمانية التي تبنيتها هذه العقيدة تعمق في الإنسان شخصيةً متزنةً تعرف الله بأسمائه وصفاته، وترجو رحمته بقدر ما تخشى عدله. فإذا أصابها البلاء قالت: هو أرحم بي من نفسي، وإذا داهمها الهوى قالت: إن الله سريع الحساب. فتصير الحياة كلها مدرسةً في التوازن، بين طمأنينة الرجاء وحذر الخوف.

إنّ الخوف والرجاء هما اللذان يصنعان الإنسان المؤمن الحق؛ الإنسان الذي يعرف الله معرفةً محبةً وتعظيم، ويعيش لرضاه لا لخوف العقوبة فحسب، ولا لأمل الجنة فقط. هو الذي يدرك أن الخوف طريق إلى الأمان، وأن الرجاء باب إلى العمل، وأن بينهما تسير القلوب إلى ربّها كما يسير الظمان إلى الماء.



وفي نهاية المطاف، حين ينكشف الغطاء في اليوم الآخر، يزول الخوف ويثبت الرجاء، فينادي المنادي: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾، فيعلم المؤمنون حينها أن كل دمعة خوف، وكل لحظة رجاء، كانت ترسخ فيهم الإيمان الحقيقي، وأن الله لم يرد بهم الخوف إلا ليؤمنهم، ولم يزرع فيهم الرجاء إلا ليقربهم.



اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.  
اللهم ثبت أقدامنا عند الزلزل، وثبت ألسنتنا عند السؤال، وثبت قلوبنا عند  
الفتن.

اللهم هون علينا سكرات الموت، وأنس وحشتنا في القبور، ونجنا من عذاب  
القبر وفتنته، وأمننا يوم الفرع الأكبر.

اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وأعطنا كتبنا بإيماننا،  
وحاسبنا حسابا يسيرا، وثقل موازيننا بالحسنات، وتجاوز عنا بعفوك  
ورحمتك.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك، واجعل آخر  
كلامنا من الدنيا: لا إله إلا الله.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب،  
ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

وصل اللهم وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



## الفهرس

١٠	مقدمة
١١	أهميَّة الإيْمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَثَرُهُ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ
١٦	
١٦	الإِحْتِضَارُ وَسَكَرَاتُ الْمَوْتِ
٢٥	مَصِيرُ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ الْمَوْتِ
٣٠	زِيَارَةُ الْقُبُورِ وَتَذَكُّرُ الْآخِرَةِ
٣٥	النَّفْخُ فِي الصُّورِ وَبِدَايَةُ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ
٤٠	الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ: خُرُوجُ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ
٤٤	الْحَشْرُ: جَمْعُ الْخَلَائِقِ لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ
٤٩	
٤٩	تَطَايُرُ الصُّحُفِ وَأَخْذُ الْكِتَابِ بِالْيَمِينِ أَوْ الشَّمَالِ
٥٤	السَّفَاعَةُ الْكُبْرَى وَمَقَامُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
٥٨	
٥٨	الصِّرَاطُ وَالْمُرُورُ عَلَيْهِ
٦٢	الْحَوْضُ وَالْكَوْثَرُ
٦٨	الميزان: يوم توزن الأعمال بالعدل والإحسان
٧٤	الدار الباقية... بداية الجزاء ونهاية الابتلاء
٧٩	الجنة في معتقد أهل السنة والجماعة
٨٤	النار في معتقد أهل السنة والجماعة
٨٩	الخوف والرجاء... وأثرهما في استقامة القلب



إن الإيمان باليوم الآخر قلبُ العقيدة وروحُها؛ فهو الذي يمنح السلوك معناها، ويضبط الأخلاق بميزان العدل الإلهي، ويزرع في القلب رجاء الرحمة وخشية الحساب. فمن أيقن بالآخرة رقق قلبه، وتهذبت جوارحه، وأصبح أكثر صفاءً في دنياه، استعداداً للقاء ربّه.

وما أحوج القلوب اليوم إلى أن تعيش هذا الإيمان بصدقٍ ووعي، لا كخبرٍ يُروى، بل كحقيقة تُستحضر في كل لحظةٍ من الحياة؛ فبالإيمان بالآخرة يستقيم الميزان بين اللذة والتقوى، وبين الأمل والعمل، وبين الفناء والبقاء.

